سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

تصدر من دمشق

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (100) | 18 / 8 /2013

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

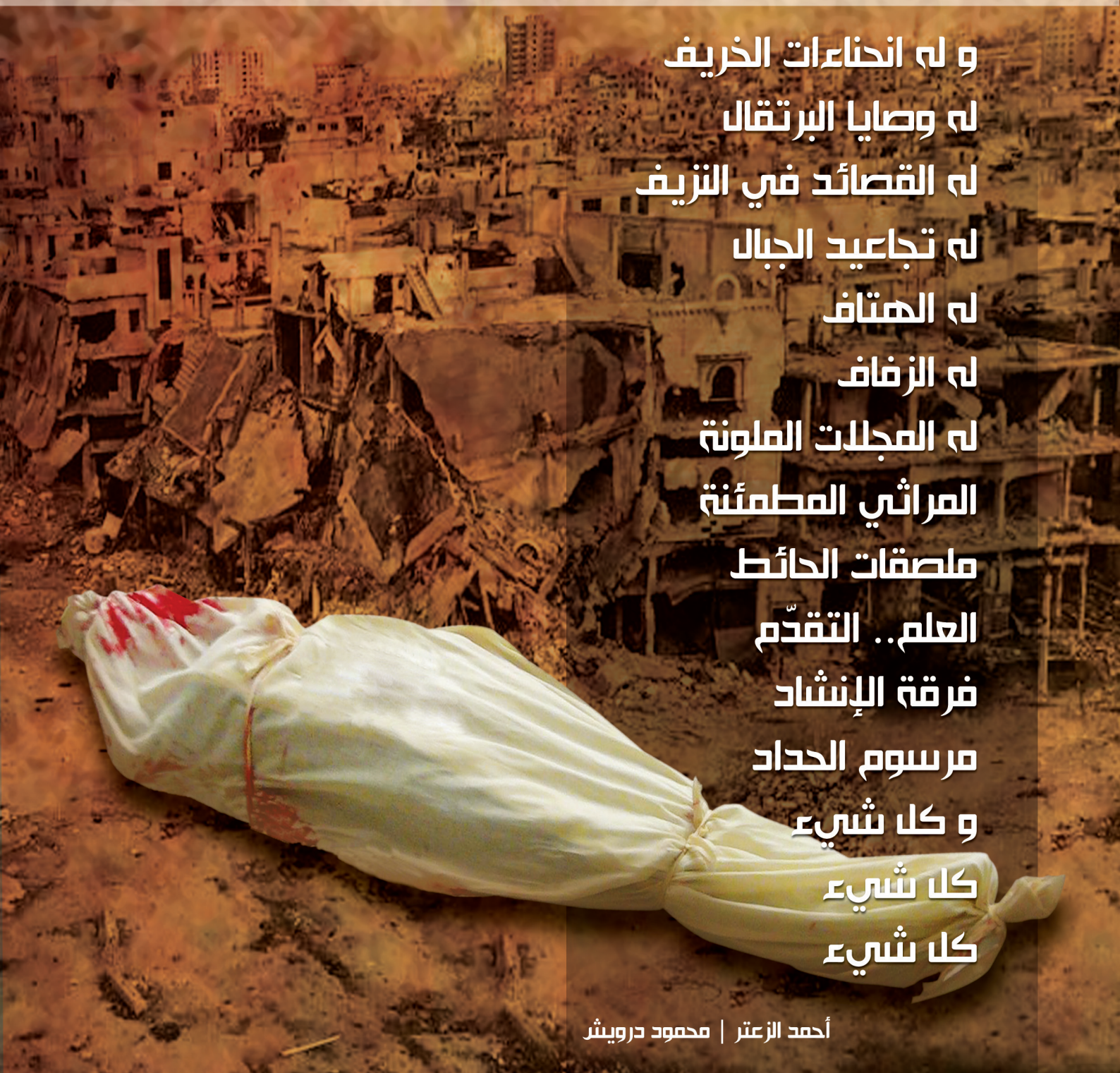

و لـ انحناءات الخريف
لـ وصايا البرتقال
لـ القصائد في النزيف
لـ تجاعيد الجبال
لـ الهتاف
لـ الزفاف
لـ المجلات الملونة
المراثي المطمئنة
ملصقات الحائط
العلم.. التقدّم
فرقة الإنشاد
مرسوم الحداد
و كل شيء
كل شيء
كل شيء

أحمد الزعتر | محمود درويش

الشهيد الصحفي ثائر معضماني يلتحق بقافلة الشهداء الإعلاميين

استشهد الزميل الإعلامي والمصور الميداني شاهر معضماني البالغ من العمر 26 عامًا يوم الجمعة الماضي بقذيفة صاروخية أثناء أدائه لعمله الإعلامي على إحدى جبهات القتال في مدينة داريا.

انضم الشهيد شاهر الذي درس في المعهد التجاري المصرفي بدمشق إلى ثوار داريا في وقت مبكر، وعمل في كتابة اللافتات وتنظيم المظاهرات السلمية، ثم تخصص في التصوير والمونتاج، وقام بتغطية العديد من النشاطات والفعاليات الثورية في المدينة، وكان عضوًا فاعلاً في تنسيقية داريا، ثم انتخب مديرًا للمكتب الإعلامي في المجلس المحلي.

مما كتبه الشهيد على صفحته :

مساء كل يوم.. أتجول في شوارع المدينة.. لحاجة.. أو لملل..

من الشرق إلى الغرب.. لربما تشاهد إنسانا يتوجه إلى ملجأ.. وربما لن تشاهد أحد خلال جولتك.

لن تخفى عن ناظريك البيوت المهدمة أو آثارها.. ولكن كاميرتك تعجز عن التقاطها في ظلام ممتد.

عندما تصل إلى حارتك وأحيانا تتسلل إليها.. تتوقع أن تجد أحدا.. أي حد.. تتلفت يمنة ويسرى.. لعلك تجد من تلقي السلام عليه.. لكن لا تحاول.. فلن تجد.

وتدخل بيتك مثل اللصوص.. ستشعر بألم داخلك.. الأبواب.. الجدران.. الأثاث.. يحن إلى أصحابه..

لا تتعجب أن اكتشفت أن قناصا تمركز قريبا منك وبدأ يطلق النار عليك.. يكفيك أن تركض في الظلام بعيد عن مرماه..

لتختلط لديك المشاعر بين الحزن والشوق.. وكثير من الحقد. داريا تؤلمني..

حملة توعية صحية تطلقها وحدة تنسيق الدعم بالتعاون مع الهلال الأحمر القطري

أطلقت وحدة تنسيق الدعم (ACU) بالتعاون مع الهلال الأحمر القطري حملة توعية صحية تحت عنوان "صحتك بتهمنا"، حول مخاطر الإسهال وطرق الوقاية منه.

تغطي الحملة التي تستمر خلال شهر آب الجاري مخيمات النازحين السوريين في الأراضي السورية، وتم اختيار / 15 / خمسة عشر شاب وشابة من كل مخيم، لتدريبهم من قبل مدربين اختصاصيين من الهلال الأحمر القطري على أساليب التثقيف الصحي. وتنظيم ورشات توعية متنقلة تستهدف العائلات المقيمة في المخيم لنشر التوعية بينها عن أنواع الإسهالات وطرق الوقاية منها. إضافةً لتوزيع بروشورات تحتوي معلومات مفيدة.

يتبع الزيارات الميدانية توزيع لسلل مستلزمات النظافة الشخصية لكل خيمة مقدمة من وحدة تنسيق الدعم.

وبينت إحصائيات النقط الطبية في المخيمات أن عدد الاطفال المصابين بالإسهال فوق عمر 5 سنوات

8٪ من عدد سكان المخيمات البالغ / 36، 905 / نازح أي / 2، 900 / إصابة و

25٪ من عدد الأطفال تحت عمر 5 سنوات والبالغ / 9، 941 / طفل، أي / 2، 400 / إصابة

ولاحقاً للتقرير الذي تم نشره في العددين السابقين، فيما يخص الإتفاقية الموقعة بين وحدة تنسيق الدعم والحكومة الأمريكية لتزويد الوحدة بمعدات بقيمة / 10.000.000$ /. تم التأكيد من موظفي وحدة الدعم، ومن المكاتب الطبية التابعة للمجالس المحلية في المحافظات إستلام 6 سيارات إسعاف تم توزيعها على الشكل التالي:

سيارتين لمحافظة حلب، وسيارة لمدينة الرقة. وسيارة لمحافظة دير الزور، وسيارتين لمحافظة إدلب وتم تسليمهم إلى المكتب الطبي لمجلس المحافظة المحلي في المحافظات المذكورة.

مساعدات إماراتية وقطرية للاجئين السوريين في لبنان

يستمر فريق هيئة الإغاثة القطرية الذي يعمل في لبنان في عملية توزيع المساعدات الإغاثية والإنسانية على اللاجئين السوريين في البقاع وطرابلس وعكار شمال لبنان بشكل خاص وفي عدد من المناطق اللبنانية. حيث تم توزيع ألبسة وأحذية على أكثر من 1500 عائلة سورية في بلدات القنبر والسويسة وبيت الحاج وحلبا؛ أي ما يوازي الـ 7000 كرتونة في كل منها، ونحو 20 ألف قطعة ثياب وأحذية خلال الأسبوع الماضي.

وأوضح راوي عليوى المسؤول عن عمل الفريق القطري في لبنان أن "هذه المساعدات تأتي من ضمن المساعدات التي بدأت دولة قطر بتقديمها منذ بدء عمليات النزوح إلى لبنان، في بعض مناطق البقاع وطرابلس وعكار ووادي خالد ضمنا".

وقال: هناك مساعدات توزع بشكل دوري وفق برنامج معد ومدروس طبقاً للاحتياجات، وبمواعيد محددة يعرفها النازحون المستفيدون من هذا البرنامج، والذين يفوق عددهم الـ 200 ألف نازح، وهي مساعدات تشتمل على مواد إغاثية غذائية وصحية وألبسة وأحذية، بالإضافة إلى ما تم تقديمه من وجبات إفطار رمضانية خلال شهر رمضان المبارك بمعدل 60 ألف وجبة يومياً".

وأضاف: يوجد "مستوصف مركزي في منطقة وادي خالد، قد تم تجهيزه بالمعدات الضرورية، ويعمل على مدار الساعة لتأمين العناية الطبية والصحية للاجئين السوريين، وللعائلات اللبنانية المحتاجة في تلك المنطقة".

من جهتها واصلت دولة الإمارات العربية المتحدة توزيع المساعدات على أبناء "مخيم البرج الشمالي" في الجنوب بإشراف طاقم إماراتي، بالتنسيق مع التجمع الشبابي الناشط "ولاد المخيم".

وأوضح محمد الشبل المشرف على الاهتمام بشؤون اللاجئين الفلسطينيين من سوريا إلى لبنان، أن "المساعدات العينية التي أرسلتها دولة الإمارات العربية المتحدة إلى النازحين الفلسطينيين من سوريا إلى لبنان تم توزيعها على نحو 50 ألف عائلة في مخيمات وتجمعات فلسطينية في مختلف المناطق اللبنانية بإشراف لجنة التجمع الشبابية الناشطة والمتطوعة للعمل الإنساني"، شاكراً دولة الإمارات ورئيس "جمعية خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية" الأمير منصور بن زايد على "هذه المبادرة الإنسانية المشكورة، خصوصا خلال رمضان وعيد الفطر"كما شكر "لبنان الرسمي والشعبي على استضافته للنازحين واهتمامه بمعاناتهم.

وأشار إلى أن "المساعدات تمت في إطار الحفاظ على كرامة النازحين والشعب الفلسطيني، وتم إيصالها إلى منازلهم المؤقتة وأماكن تجمعاتهم في مخيمات الجنوب اللبناني ومناطق أخرى وشملت كل من يحتاج للمساعدة دون استثناء"، مؤكداً أن "هذه المساعدات لا تخضع لأي اعتبارات سياسية، بل هي من ناحية إنسانية وشعور وإحساس مع العائلات المنكوبة التي تعاني من مأساة النزوح القسري، متمنياً إلا تطول".

الأمم المتحدة: «آلاف» اللاجئين السوريين يصلون إلى كردستان العراق

أعلنت الأمم المتحدة عن وصول ألاف اللاجئين السوريين يوم الخميس إلى إقليم كردستان العراق عبر جسر فيش خابور العائم الذي نصب حديثا على نهر دجلة، يوم الجمعة الماضي على مجموعتين الأولى عدد أفرادها 750 لاجئاً والثانية ما بين 5 آلاف إلى 7 آلاف لاجئ عبر، بعد انتظار يومين أو ثلاثة بالقرب من نهر دجلة

وقال أدريان ادواردز، الناطق باسم مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة للصحفيين في جنيف أن «الآلاف من السوريين عبروا الحدود إلى شمال العراق يوم الخميس الماضي في تحرك ضخم ومفاجئ، معظمهم عائلات تضم نسوة وأطفالاً وكهولاً من مناطق حلب والحسكة وغيرها من المناطق التي تشهد توترا في سوريا والتي دفعت حوالي مليوني شخص للفرار من منازلهم. وذكرت بعض الأسر أن لديها أقارب يقيمون في شمال العراق، وأن بعض الطلاب كانوا يدرسون في شمال العراق، وعادوا فقط إلى سوريا خلال عطلة عيد الفطر الأخيرة»، مشيراً إلى أن المفوضية تراقب عن كثب الاضطرابات في مصر، حيث يقيم 107 آلاف لاجئ سوري مسجلين، بالرغم من أن الحكومة تقدر العدد بنحو ربع مليون.

وعملت فرق مفوضية اللاجئين، والوكالات الشريكة، مع السلطات المحلية حتى ساعات مبكرة من صباح اليوم الجمعة، لمساعدة القادمين الجدد، وقدموا لهم المياه والمواد الغذائية. ووفرت المنظمة الدولية للهجرة وحكومة إقليم كردستان مئات الحافلات لنقل الوافدين إلى دهوك وأربيل.

وتعمل مفوضية اللاجئين مع سلطات حكومة إقليم كردستان، ووكالات الأمم المتحدة الأخرى والمنظمات غير الحكومية الشريكة على إقامة مخيم في دار شقران، على بعد مسافة قصيرة من موقع الطوارئ، في أربيل. حيث أكد الناشط الإعلامي الكردي(جكرخوين (أن الأسباب الرئيسية لهجرة الأكراد إلى إقليم كردستان هو الضغوط الكبيرة التي تأتي عليهم من حزب العمال الكردستاني من خلال الضرائب الباهضة وعملية تجنيد أبنائهم وبناتهم بالقوة في صفوف قوات حزب العمال وال bkk مما خلق لديهم حالة من الإحباط حول وضع الثورة السورية لان حزب العمال الكردستاني وال bkk يقاتلون مع النظام ويقدمون له الدعم العسكري واللوجستي في مواجهة الجيش الحر وبعض الكتائب الإسلامية الأخرى..

ومن المقرر أن يتم افتتاح المخيم الجديد في غضون أسبوعين، ويتوقع أن يخفف الضغط على مخيم دوميز المكتظ، وأن يوفر المأوى للاجئين الذين يعيشون حالياً في مساكن مستأجرة باهظة التكلفة.

وذكرت المفوضية أن العراق يستضيف أكثر من 150 ألف لاجئ سوري مسجل.

يذكر أن الحدود بين العراق وسوريا كانت مغلقة –وتخضع لرقابة مشددة عند معبر فيش خابور منذ قررت حكومة إقليم كردستان إغلاقه في التاسع عشر من أيار الماضي، عدا معبر واحد في محافظة الأنبار.

أوجاع وطن

أطفال يمارسون مهنة تمريض الطوارئ في المستشفيات الميدانية في سوريا

اتسعت رقعة الحرب في سوريا وكثرت ويلاتها. وبعد أكثر من عامين من المعارك والدمار لم يبق من الجسم الطبي في المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة المسلحة إلا قلة قليلة من الأطباء والإختصاصيين من ممرضين وممرضات، فإذا بنا نجد بين المسعفين أطفالاً. علماً أن إصابات الحرب تتطلب صلابة وكفاءات وخبرات متنوعة.

من هرب من الأطباء لم يعد رغم النداءات المتكررة التي صدرت وتصدر من المدن والقرى السورية. وللضرورة أحكام وبات كل من له إلمام بسيط بقضايا الطب والاندفاع في سبيل قضية جلها إنساني يلقي بنفسه في خضم المعركة. إلا أن جزءا من هؤلاء هم من الأطفال والمراهقين.

أطفال هجروا المدارس ليعملوا من الفجر حتى منتصف الليل وسط الدماء وأنين المصابين. أشهرهما الطفلان محمد أصاف ويوسف محمد من مدينة حلب الذي ورد اسمهما في تقرير للقناة البريطانية شانل4 أواخر شهر مارس/آذار الفائت. كانا يعملان في مستشفى دار الشفاء قبل أن تودي قذيفة بحياة الطفل يوسف الذي لم يتجاوز عمره 11 عاما .

هذان الطفلان ليسا باستثناء ولا المستشفى المذكور ولا حتى مدينة حلب، فهنالك أطفال كثر يعملون في المستشفيات الميدانية معرضين عيونهم لويلات الحرب وحياتهم للخطر.

تتدرج مهام هؤلاء الأطفال من تنظيف المكان من الدماء والأشلاء إلى المساعدة في تعليق المصل ومراقبة المصاب، حتى العناية الفعلية بالمصابين وتضميد جراحهم والتخفيف عنهم. مع ما يتضمن ذلك من مشاهد قاسية لدى وصول المصابين بأوضاع مرعبة أو لدى وفاة بعضهم بين أيدي وأمام أعين الأطفال.

ولدى سؤالنا من هم هؤلاء الأطفال؟ وكيف يجدون أنفسهم ممرضين في المستشفيات؟ وكيف يسمح لهم بذلك من قبل الراشدين؟ ذلك حتى وإن شحت الكفاءات. يأتي الجواب بسيطا وبديهيا، المجيب هو أحد الممرضين في مستشفى ميداني في مدينة تل رفعت قرب مدينة حلب «معظم هؤلاء الأطفال وجدوا أنفسهم على الخط الأول للإسعاف بسبب نزوح عائلاتهم إلى جوار المستشفيات ما دفع الأطفال إلى العمل فيها بحثا عن لقمة العيش. قسم منهم أيتام الأب يساعدون أمهاتهم وقسم آخر أيتام الوالدين يعملون في المستشفيات بحثا عن من يحميهم ويعيلهم».

اتصلنا أيضا مع ممرض وإداري في الاتحاد الطبي الحر لمدينة حلب وريفها الذي أكد لنا أنه لا يوجد حاليا أطفال إلا محمد اليوم ابن 14 عاما، «محمد نفسه الذي ذكره تقرير شانل4 وعدة صحف ألمانية والذي يعمل باندفاع شخصي ويتقاضى راتبا رمزيا لإعالة أهله ولقد حفظ أسماء معظم الأدوية والإسعافات الأولية لأنه ذكي». قبل أن يضيف أن محمد بدأ «كعامل لكن فطرته وذكاءه أوصلاه إلى أن يكون مساعد ممرض». لا يخاف أحمد على محمد لأنه «لم يبق أحد بسوريا ولم ير الموت فلا خوف إذن على محمد «. يقول لنا ذلك لكنه يناشد أطباء سوريا طالبا منهم «القليل من المسؤولية ففي مدينة حلب المحررة لا يوجد أي طبيب جراحة عامة، والأطباء الذين يعملون مع المعارضة عددهم قليل وجميعهم بإجازة أيام العيد بالمدن التركية مع عائلاتهم.. للأسف».

لا يمكن إحصاء العدد الفعلي لهؤلاء الأطفال، وكثير من الذين أثرنا الموضوع معهم من السوريين استغربوا الأمر. إلا أن الأمر واقعي وكان قد وصل عدد من هؤلاء الأطفال إلى مخيم الزعتري للاجئين السوريين في الأردن.

وكان الناطق باسم اليونيسف في المخيم أليكسيس ماسكياريلي أكد في تقرير سابق عن الأطفال المشاركين في الحرب السورية استقبال المنظمة الأممية لعدد من الأطفال الذين كانوا يساعدون في توفير الإسعافات الأولية على متن سيارات الإسعاف في مناطق النزاع السوري.

حسابات الغرب في سوريا
مصالح وتحالفات

■ ياسر مرزوق

إنها الحرب الأسلحة "النوعية" تتدفق على الجيش السوري الحرّ، خاصة من المملكة العربية السعودية وقطر، والنظام ينكفأ عن طموحاته باستعادة حلب بعد أجواء التفاؤل التي أشاعها سقوط القصير وعززها بالاستيلاء على الخالدية الحي البطل الذي لا يزيد قطره عن كيلو متر مربع، ويستقدم تعزيزاتٍ لمعركة الساحل التي باغتته في عقر داره وأجهضت أوهام التقسيم.

ما من أحدٍ يستطيع الجزم بما تخبأه الأيام على الأرض لكن الجميع يدرك بأن المعارك ستسوي مدناً بالأرض وستضيف إلى عداد الأموات مدنيين ومقاتلين أصفاراً جديدة، والجميع أيضاً يدرك بأن الاقتصاد بات على حافة الهاوية أن لم يسقط فيها فالنظام ينفق يومياً 70 إلى 100 مليون دولار حسب العمليات "مصادر عدة تفيد بأنه يحتاج شهرياً إلى 3 إلى 3.5، مليار تؤمن إيران معظمها ويساهم العراق بـ 500 مليون وينفق الباقي من احتياطيّ الشعب السوري ".

ولعل ما قاله السفير الأميركي السابق في سوريا ريان كروكر يلخص ما يحصل في سوريا وسط تواطؤ عالمي فاضح حين شبه الواقع السوري بحريق هائل في الغابات: "إذ لا يمكن للمرء أن يطفئه. وكل ما يمكن أن يفعله هو احتواؤه، وتركه يحرق نفسه بنفسه. ذلك ما يماثل الوضع في سوريا. فنحن لا يمكننا أن نوقف القتال. وما نستطيع القيام به، أو ما علينا أن نقوم به، هو كل ما في الإمكان لكي نمنعه من الانتشار". إضافة إلى الاستعداد لعواقب حرب أهلية لاحقة".

وفي حديثٍ له مع الزميلة " طلعنا على الحرية " سئل الأكاديمي نعوم تشومسكي عن نصائح يقدمها للشعب السوري وثورته في عامها الثالث فأجاب: " السوريون يواجهون ظروفاً صعبة ومعقدة، وبالتأكيد هم يعرفون ما عليهم فعله أكثر مني بكثير. لم أعط نصائح في السابق لمن طلب مني ذلك، لا في فيتنام ولا في نيكاراغوا ولا في أي مكان آخر. لكن ربما أقول أن على السوريين تقييم الخيارات الموجودة بين أيديهم وتقصي النتائج المترتبة عليها. عليهم فعل ذلك عبر قراءة الواقع الموضوعي، وليس البقاء في عالم من صنع مخيلتهم، والقول لا أريد هذا وأرفض ذاك.

جميع الحركات الناجحة التي نشدت التغيير قدمت تنازلات محددة في لحظات محددة، بناء على قراءة الواقع وتقييم ما هي الخيارات الأخرى. حتى الحركة الصهيونية ساومت بقبول تقرير لجنة بيل 37، كأفضل الحلول في حينها. ومن ثم تابعوا من هناك. قبل الفيتناميون مقررات اتفاق جنيف 1954. عمليًا قبلوا التقسيم، والبديل كان ربما استخدام السلاح الذري ضدهم أو سحقهم عسكريًا، قبلوا بذلك ليستطيعوا الاستمرار لاحقًا، وبرأيي فقد فعلوا خيرًا بقبولهم.

من الصعب التحرك في العالم الحقيقي بدون تقديم تنازلات. لا أملك نصائح، فقط لا تجعلوا أمانيكم تغطي الواقع بالكامل، انتبهوا للحقائق. نعيش في عالم حقيقي بكل بشاعته وعلينا التعامل معه واتخاذ قراراتنا ضمنه.

ولعل ما قاله تشومسكي يذكرنا بالعبارة التي قالها الزعيم الصيني " ماوتسي تونغ " عبارة:" احملوا السلاح دفاعاً عن حدودكم، وتأملوا في نفس الوقت أحوال العالم وراء هذه الحدود.. وافهموا "، وعلى ضوءِ هذه العبارة علينا النظر بعيداً عن الحدود شمالاً نحو روسيا القيصر، في محاولةٍ لتحليل الموقف الروسي الذي أضحى معه " سيرغي لافروف " وزيراً لخارجية النظام السوري، وتحولت الثورة السوريّة إلى أزمة دولية هي الأولى منذ انتهاء الحرب الباردة عام 1989، لم تستطع أن تقود إليها، لا حرب 1999 للناتو في صربيا وكوسوفو " الحديقة الخلفية للروس" منذ أيام القياصرة ثم السوفيات ولا غزو الأميركيين للعراق عام 2003. علماً أن المصالح الروسية في سوريا متواضعة إذا ما قيست بالغطاء الدبلوماسي الذي وفرته للنظام، حتى أن الرئيس الروسي في ذلك الحين ديمتري ميدفيديف صرح لتلفزيون "روسيا اليوم" السنة الماضية، أن سوريا فرصة لرسم خط في الرمل. وروسيا، لأسبابها السياسية الداخلية، حساسة إزاء فكرة فرض أناس من الخارج تغيير نظام حكم.

أعطونا وقتا حتى شهر آب، واضمنوا لنا بقاء مؤسستي الجيش والأمن في أي ترتيب مستقبلي، وعدم الإشارة إلى مصير بشار الأسد في هذه المرحلة، وعلى المعارضة والجيش الحر التعهد بمحاربة التطرف "والقاعدة" في سوريا، إضافة إلى إرضاء إيران من خلال الموافقة على مشاركتها بمؤتمر جنيف 2 المنوي عقده.

تلك كانت خلاصة الموقف الروسي في أيرلندا، وكل هذه التفاصيل كانت واضحة وعلنية، ولا تحتمل الكثير من التأويلات ولا الاجتهادات. اليوم ونحن على مشارف انتهاء شهر آب واقتراب الخريف الموعد الذي حددته الإدارة الأمريكية لعقد مؤتمر جنيف المفترض لابد لنا من قراءةٍ متأنية للحلف الروسي السوري ومدى مصداقيته ومتانته، فالعلاقة بين سوريا والاتحاد السوفيتي منذ اليوم الأول كانت علاقة اضطرار وليست علاقة اختيار اضطرار في وجه التحالف العضوي بالولايات المتحدة وإسرائيل، ولم يكن الاضطرار مستغرباً، فالفكر السياسي لسوريا وبقية دول العالم الثالث، كان أقرب إلى الغرب ثقافياً واجتماعياً على الأقل بحكم اللغة، فقد كان عدد الذين يعرفون اللغة الروسية، فضلاً عن الآداب والفنون، أقل من القليل في سوريا وغيرها، ولم يكن هناك من يعرف ما فيه الكفاية عن التركيبة الاجتماعية أو السياسية لهذا البلد الضخم إحدى القوتين الأعظم، الذي أقبل مترددا على التعامل مع العالم الثالث وفي مقدمته سوريا.

وللتأكيد على ضدية خيار التحالف مع الروس تنادت الجبهة الإسلامية الاشتراكية إلى اجتماع في الثاني عشر من آذار عام 1950وأعلن أحد زعمائها وهو الشيخ مصطفى السباعي: " نعتزم التوجه إلى المعسكر الشرقي إذا لم ينصفنا الديمقراطيون.. ونجيب أولئك الذين يقولون أن المعسكر الشرقي هو عدونا، متى كان المعسكر الغربي صديقاً لنا، إننا سنربط أنفسنا بروسيا ولو كانت الشيطان نفسه "

إضافةً إلى أن المعرفة عن الاتحاد السوفيتي في كل هذه البلدان انطباعية في معظمها أن لم تكن مسطحة، بلدٌ واحد، حزب واحد مسيطر، زعيم واحد فوق البلد والحزب أما البلد نفسه فهو مجهولٌ كبير وأما الحزب فهو سر مغلق، وأما الرجل الواحد فهو ديكتاتور قادر على كل شيء.

لكن وبالرغم من العلاقة الغامضة والتقتير في السلاح والتراجع في اللحظة الأخيرة إلا أنه وخلال نحو سبعة عقود من الحكم الشيوعي بقيت موسكو نصيرة لشعوب العالم الثالث، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي جهد النظام السوري على التنصل من التزاماته المالية والابتعاد عن الكيان المهزوم والتقرب من الغرب الذي وصل مداه في بدايات حكم بشار الأسد ولعل ما ذكرناه يفسر العلاقة الملتبسة بين الروس وحلفائهم التي لا تتعدى استغلال الحلفاء للروس طمعاً في التقرب من الولايات المتحدة والغرب واستغلال الروس للحلفاء للتفاوض مع الولايات المتحدة والغرب حول مصالحهم.

يعتبر البروفسور روي أليستون، من جامعة أكسفورد، في مقال مستند إلى كتابه «روسيا والغرب والتدخل العسكري» أن «إيران كانت الدولة الأساسية المؤيدة للنظام السوري في محنته الحالية، ومازالت تعتمد هذا الموقف إيديولوجيا وميدانيا. وأن روسيا وفرت درعا منيعا على الصعيد الدولي للدولة السورية، وضخت إلى سوريا مختلف أنواع الأسلحة المتطورة التي ساهمت في عدم سقوط النظام بالتعاون مع النظام الإيراني».

وهذه المجازفة الروسية حسب رأيه وخصوصا في موقف موسكو في مؤتمر القمة لدول الثمانية أدت إلى عزل روسيا عن حلفائها في هذه المجموعة». وتساءل أليسون ما هي العوامل الأساسية التي تدفع روسيا إلى اتخاذ هذا الموقف؟. واعتبر أليسون أن الدافع الأساسي لموسكو هو رفض القيادة الروسية للمنطق الأميركي الغربي القائل بأن لدى أميركا وحلفائها حق التدخل العسكري في دول العالم الثالث عندما ترى ضرورة لذلك حسب تقييمها، متجاوزة بذلك قرارات الأمم المتحدة كما فعلت في العراق وليبيا، ومتعدية على مصالح الدول الأخرى (وبينها روسيا والصين) في هذه المناطق».

اليوم يغرق الروس موقفهم من الثورة السورية بجملةٍ من التبريرات كالدفاع عن مصالحهم في المنطقة أو الوقوف في وجه الإرهاب الذي طالما استهدف الروس في ديارهم والهاجس الكبير بأن استغناء أوروبا عن الغاز الروسي، الذي يزودها الآن بثلث احتياجاتها،

عمل للفنانة ديالا برصلي

واستبداله بغاز خليجي يصل بسرعة وبتكلفة أقل عبر الساحل السوري، أو عبر أنابيب تصل من الخليج عبر الأردن وسورية وتركيا إلى الأراضي الأوروبية، سيجعل روسيا في موقع الضعيف أمام الغرب ويجعلها غير قادرة على التحكم بعصب الاقتصاد الأوروبي، الذي يتهيأ منذ الآن ويخطط لاتجاهات نحو الاستغناء أو التقليل من واردات الغاز الروسية.

إلا أن الروس وطيلة الثورة السورية برعوا في المناورة فهم يؤكدون على دعم النظام من جهة ويسعون للتفاوض مع من سيخلفه من جهةٍ أخرى ولعل المثال الأوضح على ذلك كان تصريحات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين التي أدلى بها على هامش لقاء مع الاتحاد الأوروبي، وقال فيها أن روسيا لم تسلم حتى الآن صواريخ أس 300 المتقدمة إلى سورية خاصة أن الرئيس السوري كان قد أعطى انطباعاً قبل أثناء حديث له إلى محطة "المنار" اللبنانية أن بلاده تسلمت الدفعة الأولى من هذه الصواريخ.

فهذه التلميحات أحدثت ضجة كبرى لان هذا النوع من الصواريخ المضاد للطائرات هو الأحدث في الترسانة الروسية، وتسلم سورية له سيجعلها قادرة على إسقاط أي طائرات حربية إسرائيلية تخترق أجواءها.

كما صرح جورجي بيتروف، نائب رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسية، لوكالة أنباء "إيتار – تاس" في 2 آذار الجاري بأنه سيتم تعليق جميع العقود الموقعة مع سوريا لحين عودة الوضع في البلاد إلى طبيعته. وقال أنه "من المستحيل الحفاظ على المستوى السابق للعقود الاقتصادية في ظل الظروف السياسية الراهنة في سوريا. هناك عدد من المشروعات ننفذها من بينها إنشاء فنادق، وإدارة موارد مائية، ومشروعات طاقة. ولكن أمن المواطنين السوريين له الأولوية، " مضيفا أنه "لن يتم استئناف التعاون بالكامل إلا بعد عودة الوضع إلى طبيعته".

وكانت وزارة الخارجية الروسية قد أعلنت في نفس اليوم أنها لن تقدم مساعدات عسكرية للحكومة السورية حال تعرض دمشق لهجوم بالرغم من أن روسيا وسوريا وقعتا معاهدة للتعاون والصداقة تنص على أنه في حالة وقوع خطر ما يهدد السلام أو الأمن، يتعين على الجانبين التواصل في الحال لتنسيق مواقفهما والتعاون من أجل إزالة هذا الخطر واستعادة السلام.

اليوم ومع بداية تسليح المعارضة وتلويح الغرب بالتخطيط لانقلاب عسكري في سوريا، حين صرح ديفيد كاميرون - رئيس الوزراء البريطاني - "أن قادة مجموعة الثماني يريدون إقناع الموالين للأسد، الذين يعلمون في داخلهم أنه راحل، وبأن سوريا لن تسقط في مستنقع الفوضى من دون الرئيس السوري".

أمام هذا المشهد، وترجيح خيار الانقلاب خاصةً إذا صحت الأنباء عن استهداف الموكب الرئاسي صبيحة العيد وبيع مستودعات الأسلحة في القلمون للمعارضة المسلحة، تبدو الدائرة الحاكمة في سوريا مخترقة لصالح استخبارات عربية وغربية، وبات رهان الروس على ورقة مصير الأسد رهاناً خاسراً، وعادت إلى الأذهان مقولة " ميخائيل غورباتشوف عن أن توازن المصالح في العالم سوف يحل محل " توازن القوى " كمعيار في إدارة العلاقات الدولية، فالسياسة تصنع الاقتصاد بمقدار ما أن الاقتصاد يصنع السياسة، ثم أن بعض الصناعات وربما أكبرها، تتصل مباشرة بالرؤى الإستراتيجية للدول، وأولها بالطبع صناعات السلاح والطاقة.

اليوم يكرر الروس موقفهم من صدام حسين والقذافي وإن احتفظوا هذه المرة بحق الإشراف على الترتيبات بعدما بات واضحاً استمرار الأسد في الحكم وما المماطلة الروسية إلا لتحقيق مكتسبات يدفع السوريون ثمنها دماً، وما التقرير الذي نشرته مجلة "تايم" الأميركية عن المحادثات الفاشلة التي أجراها رئيس الاستخبارات السعودية الأمير بندر بن سلطان في موسكو أخيراً محاولاً إقناع الرئيس فلاديمير بوتين بالكف عن تزويد الجيش السوري بأسلحة روسية مقابل شراء السعودية نفسها أسلحة روسية. إلا جزء من الحقيقة فالأمير بندر كما بوتين رجلا استخبارات قبل الانخراط في عالم السياسة وزيارة بندر السفير غير العادي في واشنطن سابقاً والذي كان يتمتع بصلاحيات سياسية ومالية غير محدودة جعلته وثيق الصلة بالبيت الأبيض ووزارتي الخارجية والدفاع والبنتاغون ووكالة المخابرات المركزية، وهو الذي كان ممثل السعودية في العمليات السرية التي كانت الادارة الأمريكية تحتاج فيها إلى إعتمادات لا تمر عن طريق الكونغرس لتنفذ بها سياسات معينة، فهو مثلاً من قام بتقديم مبلغ الخمسة وثلاثين مليون دولار التي استعملتها الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد نظام "الساندنيستا " في نيكاراغوا وهو الذي كانت سفارته " صندوق الدفع " في حروب خفية أخرى، جاءت زيارته للاستطلاع وترتيب ما بعد سقوط الأسد وهنا نص التقرير:

"في محاولة يائسة للعثور على حل ما للازمة السورية المستمرة، التي دخلت الآن سنتها الثالثة من دون أن تلوح نهاية لها في الأفق، عرض رئيس الاستخبارات السعودية الأمير بندر بن سلطان وفقاً لتقارير إخبارية على الرئيس الروسي فلاديمير بوتين صفقة أسلحة قيمتها مليارات الدولارات لكبح دعم موسكو لنظام الرئيس السوري بشار الأسد عندما اجتمعا في موسكو الأسبوع الماضي. وقد قوبل العرض بالصد. ورد الكرملين الجمعة على روايات الأنباء عن الاقتراح بنفي مشدد، وقال لرويترز أنه لم يتم بحث أي صفقة بالتفصيل. وكانت مصادر أنباء، بما فيها رويترز، قد نقلت قبل ذلك عن دبلوماسيين غربيين وعرب وصفهم لصفقة تشتري السعودية بمقتضاها أسلحة روسية بقيمة 15 مليار دولار بالإضافة إلى تقديم تعهدات بأن بلدان الخليج لن تهدد سيطرة روسيا على سوق الغاز في أوروبا مقابل التزام موسكو بعدم الوقوف في المستقبل ضد قرارات في مجلس الأمن الدولي بشأن سوريا. وما زال التهديد باستخدام الفيتو الروسي يعيق أي عمل كهذا من جانب الأمم المتحدة بخصوص سوريا.

أيها السوريون..
هذه الثورة أمامكم ومصر درساً لأنصاف الثورات

■ الياس س الياس

بداية، لكي يُفهم بأني أربط في العنوان بين سوريا ومصر، ليس بناءا على شيء إيديولوجي سوى قيمة الإنسان التي يراها البعض وللأسف في أيامنا بلغة "فطيسة" و"يستحقون السحق".. لأنهم " متطرفون وإرهابيون.. "! أية فلسفة؟! أي فكر ومنظومة ودين وانتماء لا تأخذ الإنسان وجوهره وقيمته بعين الاعتبار؟! هي جميعها وغيرها تصبح مجرد تعابير صارخة عن حالة انحطاط خارجة عن عدم فهم شقاء البشر والتوق للكرامة منذ أن كان الإنسان إنسانا.

اتهم واقتل..
سوريا التي صارت الدرس..

أيها السادة،

أمس الجمعة 16 أغسطس، بعد يومين من مذبحة رابعة والنهضة، كتبت على صفحتي الخاصة متوقعاً إعلان حركة الإخوان كمنظمة " إرهابية" كخطوة لا تجيد الطغم العسكرية غير الإقصاء وعادة ما تبدأ بمن تم شيطنته.. أما ما يتبقى من أحزاب ومجموعات فهي سوف تنتظر؛ إما مرعوبة، أو مداهنة للطغم. القرار العسكري اللابس لبوسا " دستورية" وقانونية فاسدة في عدالة ضائعة..

يوم 6 يونيو وفي " اليوم السابع" جاءنا العنوان المؤسس للثلاثين منه: "مثقفون يطالبون باعتبار جماعة الإخوان منظمة إرهابية.. "! لنلاحظ تسمية " مثقفون" ووقعها على الأذن، هؤلاء المثقفون يفترض أن يكون لهم سعة اطلاع، أكثر منا نحن البسطاء من العامة، عن تجارب الانقلابات والطغم العسكرية في أميركا اللاتينية وآسيا وأفريقيا، وحتى الفاشية في اسبانيا، وانقلاب اليونان والبرتغال، تحت حجج براقة انقاد إليها كالذباب، ونكاية مثلاً بسلفادور أليندي قوى أخرى وجدت نفسها لاحقاً تدفع ثمن تخاذلها عن دورها في التصدي للحذاء العسكري، الذي ما أن يتمكن حتى يسيطر على كل أدوات التواصل المجتمعي مصنفاً أي شاء ضمن خانة العداء " للثورة والشعب"، في الانقلابات التي تقوم باسم الشعب الذي يسحق لاحقاً ويختفي عشرات الآلاف من شبابه.. ولم يجدوا أثراً حتى يومنا هذا لبعضهم في الأرجنتين وتشيلي على سبيل المثال لا الحصر، أمامنا في سوريا تجربة الانقلاب الذي قام به الديكتاتور حافظ أسد، الذي لم يوفر رؤساء جمهورية، ووزراء ومثقفين، ورفاق السلاح، والحزب من وضعهم في سجون تحت قاعات السينما، وفي سجن المزة.. وترك البقية من الأحزاب تختار بين أن تلحق بهؤلاء، أو تتشظى، ويقبل قادة خانعون الانضمام إليه تحت مسمى " الجبهة الوطنية التقدمية"، التي قادها ما سمي حزب البعث بعد أن صار هو بنفسه حزب حافظ ولا علاقة له بالبعث!

هي التجربة الأسدية المتحولة إلى حكم عائلي مافيوي، بشبكة علاقات ومصالح، بعض البرجوازيات السورية التي لم يهمها من يحكم، وكيف يحكم، طالما أن الحكم راضياً عنها، لحفظ مصالحها الطبقية غير آبهة بما يؤول إليه وطنها، من تخلف، وتراجع، وتراكم كمية القهر المؤدي بالعنف الذي طال قطاعات المجتمع ، وكتب عنه تحت بند " أدب السجون" كثيرون من الذين مروا على سجون الطاغية.. مكررة المأساة في توريث الابن الذي ابتسم ،عام ونصف وعاد لأساليب أبيه في إظهار أنيابه.. ليس هو شخصياً فحسب بل منظومة الحكم التي ترسخت ببنية مافيوية يختار عرابها كحل وسط بين العوائل وشغيلتها..

أنا هنا لا أقدم تحليلاً بل نقلاً لتجربة واقع أدت تراكماته وخيانة النخب (قل بعضها على الأقل لدورها) إلى ما نحن عليه في سوريا اليوم.. يكفي التذكير بما أنتجه ذلك الانقلاب من تشوهات استندت على إعادة تعريف سوريا بـ" سوريا الأسد".

وبناءا على دستور حافظ نفسه، وخروج " الجماهير عفويًا" لم تعتبر حركة الإخوان وحدها الحركة المحظورة ، والتي يجري وفق القانون 49 إعدام المنتسب إليها، بل حتى اليساري، والاشتراكي، والناصري، اعتبر في جمهورية الانقلاب الأسدية "ضالاً" وملاحقاً إذا لم يكن جزءاً من حزب ينضوي تحت جناح البعث في " الجبهة الوطنية التقدمية"، كم من شيوعي العمل وغيرهم وضعوا في ذات الزنازين مع الإخوان؟! وهل عشرات الآلاف من أهل حماة وجسر الشغور والمشارقة كانوا من الإخوان ليجري قتلهم، وتدمير مدينتهم، والإلقاء بالنخب في المنافي؟ ! الشيطنة لعبة مشتركة، بين الطغم الحاكمة التي تشترك أيضاً في لعبة تقديم الخدمات لمن يدعي هؤلاء، منذ حينها حتى لحظتنا الراهنة، معاداتهم لها: الإمبريالية الأميركية والرجعية العربية.. واشنطن التي رعت الطغم الحاكمة في معظم دول الموز، هي ذاتها التي ذهب عسكر حافظ لخدمتها في حفر الباطن دفاعاً عن " الرجعية الخليجية"..!

ما أتحدث عنه مشهد تحت سريالي.. واقع يعرفه المتجردون اليوم من مهامهم والواضعون لضمائرهم في ثلاجات الحكام، فنكاية مثلاً بالإخوان فليقتل الآلاف، وليغيب من يغيب في زنازين الطغاة.. الأمر بالنسبة لهؤلاء أقل من عادي، وأبسط من أن يشرحه " مثقفون" فهموا الاختلاف الإيديولوجي مدخلاً لتبرير موت الناس، وتحميلهم مسؤولية مقتلهم. ومثلما في سوريا قالت ذات يوم بثينة شعبان: الرئيس لم يصدر أوامر بإطلاق النار ولا على أي مستوى! يخرج علينا دائمًا من بين " النخب" (الثقافية والدينية والتجارية والإعلامية) من يسوق مبررات شطب الآلاف لمصلحة " الوطن" على الطريقة الستالينية، أو الميكيافيلية، في شيطنة ممنهجة لأي طرف يراد شطبه من الطريق ظنًا من هؤلاء بأن الأمر لن يطالهم.. قبل أن يكتشفوا متأخرين بأنهم لم يكونوا سوى أدوات سرعان ما تستبدل بأخرى..

الاستئناس بالديكتاتوريات العسكرية..

دعوني فقط أذكر بما ذكرته في السابق عن التضامن البيني بين الديكتاتوريات العربية، وغير العربية، وتبادل الخبرات سراً وعلناً، قد لا يصدق البعض بأن هناك أيضاً تضامناً بينياً بين تلك القوى التي تستأنس بالديكتاتوريات، هي قوى تختار تركيز جهدها على إقناع بمسميات: قومية، عروبية، وعلمانية، ويسارية، وليبرالية، ودينية، وأقلوية، وحتى طبقية، ودينية، إلخ.. وهؤلاء يجيدون حرفة صناعة كتبة و" إعلام" يقوم مثلاً على تكريس مفهوم صورة شيطانية لمن يراد إزاحته ولو بالقتل، إذ تظن حقًا بعض تلك القوى بأن إزاحة هؤلاء سيكسبهم " جماهيرية" فشلوا في بناءها (كنتيجة انتخابات مثلاً)، وقد يظن بعضهم وهم من النخب التي تجيد القفز على حبال المواقف، من شعراء، وأصحاب أقلام، بأن المجتمعات العربية التي تثور على طغاتها لا يحق لها أن تثور، (وكأنها تتفق مع السلفية الجامية التي تحرم الخروج على الحاكم) ولا أن تخرج من المساجد / كما شهدنا تكالب البعض على الثورة السورية منذ بدايتها / ومن المفترض لقبول ثورة الشعب أن يصير الشعب تلقائياً علمانياً كمقدمة للثورة وللعيش بكرامة وحرية. سبق لي أن تحدثت عن هذا " المثقف المشاريعجي"، الذي يحمل في شنطته كل ما هو مطلوب في سوق الأنظمة الديكتاتورية، جمهورية كانت، أم ملكية وأميرية، وحتى جملوملكية توريثية في الحالة السورية، وحالة مبارك قبل ثورة يناير، وحالة القذافي الذي كان يحضر سيف، وعلي عبد صالح تحضيراً لابنه. يغيب الخط الفاصل بين ما اصطلح عليه " أنظمة تقدمية وأنظمة رجعية".. ما يجمع بين هؤلاء بأن الحاكم، ولو كان لديه دستور الولايات المتحدة منمقًا بلغة عربية، يعتبر إلها مانحًا، أعطياته تعتبر مدعاة للشكر والحمد، في كل المستويات؛ من إطلاق سراح معتقل سياسي إلى وصول الماء والكهرباء للمواطن، كلها منح من مافيا الحكم لا حقوق طبيعية للإنسان. تذكرني بسؤال الشاب الأميركي لشاب عربي عن طموحاته حين كانت الإجابة عن دراسة وزواج وعمل وبيت.. فقال له الأميركي: أنا سألتك عن طموحاتك وليس عن حقوقك!! فمن يكرس هذه الثقافة بالضبط المثقف المشاريعجي، صاحب الشنطة (الحقيبة) السحرية، بائع السلع لكل من يحتاجها حسب الحاجة وليس المثقف الذي يرى في الإنسان العربي قيمة بحد ذاته.. لذا ليس غريباً أن يشهد جيلنا الحالي تكون فاشية عربية تمتد متنقلة بين بلادنا والمعبر عنها اليوم تكرفا في سوريا ومصر..

ملاحظة أولى لا بد منها في السياق، هل تتذكرون مواقف أبواق النظام الفاشي في دمشق، ونظام الملالي في ظهران، ومواقف حزب الله من انقلاب 30 يونيو في مصر؟! ذلك الترحيب لم يقم فقط على أساس أن ثورة يناير، وبالتالي الثورات كلها، ليست سوى مؤامرة كونية بعد أن كانت تستحق كل التقطير والاحترام.. بل أيضاً التعبير الدقيق للتضامن البيني، بحيث يظن فاشيي سوريا بأن ما جرى في مصر عقاب لمرسي على مواقفه من " القائد الأسد"، ولذا احتفى أنصاره في عدد من البلدان بهذا الانقلاب. هم يثرثرون كثيراً عن " المقاومة والممانعة" وغزة وفلسطين، كوجبة

يومية على المائدة.. وإذ بهم في معسكر عسكر مصر الانقلابيين المنسقين مع البنتاغون، وجيش الاحتلال في كل صغيرة وكبيرة.. كم كان فرحًا ومنتعشاً حسن نصر اللّه وأمثاله للانقلاب في مصر، ظنًا منه بأن الآتي هي تلك القوى التي ما تزال تصدق بأنه وحتى بعد بقلاوة الانتصار في القصير يمثل بالنسبة لهم مرجعية في المقاومة.. الملاحظة الثانية، تعلق هؤلاء من المعسكر المذكور بوهم أن الانقلاب على ثورة ٢٥ يناير سيعد إنقاذاً للأسد من السقوط.. لكننا هنا أمام حالة سيريالية حقًا.. أول من هنأ الانقلابيون هم " الوهابيون التكفيريون" في السعودية والإمارات، ومعظم الخليج المتهم في سوريا ولبنان.. ضخت المليارات الخليجية لدعم الانقلاب، الذي صفق له الإعلام الأسدي وإعلام حسن نصر اللّه، وإعلام النكاح لغسان بن جدو. اتفق هؤلاء الأضداد بمن فيهم إيران على الترحيب بما سمي " الحركة التصحيحية" ووقعوا مرة أخرى في انكشاف آخر للسقوط الأخلاقي المريع، في غياب أية مبدئية يتشدقون بها.. ولأن هؤلاء تتحكم بهم غريزة طائفية، وغريزة الكراهية والغل والتشفي مع مجموعات مصرية لا تختلف كثيراً عنهم في عنصريتهم، في لبنان، وطهران، والخليج، فقد وجدوا أنفسهم في ورطة أمام دماء البشر في رابعة العدوية، وجمعة الغضب حين وببساطة تظهرت صورة الثورة السورية في بداياتها، تمامًا كما مشهد الشباب الإسماعيلي الرافع ليديه بوجه دبابات العسكر، التي لم تتردد في إطلاق النار على مصريين وقتلهم.. حدث الأمر في حمص وحوران.. حمص التي قال عنها حسن نصر اللّه: مافي شي.. قبل أن تقطر عمامته دمًا لغرقه بدماء القصير، ورطة أن تظهر حالة ثورة يناير المصرية وهي تستكمل طريقها يوم 16 يونيو كما ظهرت الثورة السورية، وتعيد للشعوب ذاكرة حاولت " الممانعة" باختراعات بروباغندية، أن تجعل من السوريين "عصابات مسلحة" وأجانب.. فمثلما خرجت أمس عواصم عربية، وغير عربية تضامناً مع الشعب المصري، لابد للعقل أن يجري المقارنات المنطقية، ففي الأسبوع الذي اعتقل فيه ذلك المهندس المصري من المسجد الأموي، وعرضه " التلفزيون السوري" كعميل صهيوني زار القدس، وكان يبيع صور المتظاهرين السوريين بمئة جنيه.. قبل أن يُطلق سراحه بعد أسبوع لأن القصة من بدايتها إلى نهايتها ليست سوى قصص يجيدها الطغاة. كما عُرض غيره من العرب على كرسي الاعتراف التلفزيوني للدلالة على المؤامرة.. وجدنا أمس عسكر السيسي الانقلابيين يكررون ذات الرواية السمجة.. اعتقال سوري وباكستاني.. وقبلها اعتقال عائلة سورية لاجئة في الاسكندرية كتهديد للأمن القومي المصري..

الملاحظة الثالثة، المال السعودي والإماراتي المتدفق للانقلابيين في مصر، توج يوم الجمعة، حيث كانت قوات العسكر والبلطجية (تمامًا مثلما كان عليه مشهد الثورة السورية وما يزال) تطلق النار ليقال لنا: هذه الملايين هي عصابات مسلحة، تحمل السلاح.. توج بموقف ملك السعودية المؤيد للانقلاب، كما أيده فاشي دمشق صبيان طهران في لبنان والعراق، فصار المشهد فعلاً مدعاة للسخرية. فكما بنى هؤلاء آمالهم على أن " مصر تواجه الإرهاب" سيعطي الأسد شرعية المزيد من التدمير والقتل مع اتهام " الخليج والعربان" بالوقوف وراء " المؤامرة الكونية"، بدعم الإسلاميين الوهابيين التكفيريين في سوريا، مثل سخافة أن تساعد واشنطن والغرب عمومًا " القاعدة" في سوريا! توضح أساليب حبيب العادلي باستهداف الكنائس كيف تكررت الحالة في ذات اللحظة التي كانت تقام فيه مذبحة رابعة.. ومثلما شرعن بشار مهاجمة المساجد وإحراقها وجد السيسي ضالته في السابقة التي لم يتجرأ عليها منهجيًا الصهاينة.. إذاً، ما نحن بصدده مشهد يكشف المزيد مما كشفته الثورة السورية، من مرض أخلاقي غربي والدوس على القانون الدولي الإنساني، ويكشف أيضاً كيف سارعت روسيا نفسها التي تدعم كل المذابح في سوريا لإعلان تضامنها مع عسكر مصر، ووضع كل إمكانياتها في خدمة الانقلابيين، بينما واشنطن تكرر ذات الرواية السمجة عن حقوق الإنسان، وضرورة " سرعة الانتقال الديمقراطي"، وكأن الشعب المصري كان يلعب في 7 تصويتات في صناديق اقتراع بكل حرية، ورغم الاختلاف مع الإخوان وأفكارهم، فلم نجد مثلاً هذه القوة القمعية تنزل حين تطلبت سنة حكم محمد مرسي أن يكون هناك أمن في الشارع لحماية الناس من بلطجية الأمن نفسه، ولا حماية حتى قصر الاتحادية حين كان يُهاجم يوميًا وتجري محاولات خلع بواباته برعاية قوى سياسية، تخرس اليوم عن المذبحة التي يقوم بها رجال نظام مبارك.. هل تتذكرون كيف قالوا بأن مرسي فقد شرعيته بعد مقتل متظاهر في الطريق إلى الاتحادية؟! هؤلاء هم أنفسهم الذين تراهم اليوم سعيدون للدعم الخليجي الذي كان متهما في السابق..!

يظن حكام بعض الدول الخليجية بأن ما يجري في مصر سيجهض الثورة وبالتالي دماء المصريين ستكون جرداً لوقف وصول الثورة إلى مجتمعاتها.. وهؤلاء سيكتشفون فظاعة الخلل الذي ارتكبوه..

* أنصاف الثورات ترسيخ للطغاة.. قد تكون التجربة المصرية الماثلة أمامنا هي الأكثر تعبيراً عن التحذير من أنصاف الثورات.. وللسوريين أن يكتشفوا بأن مسارهم الذي اختاروه سلمياً لأشهر كان خيارًا صائبًا، إلى أن وصل الأمر إلى حد لم يعد يطاق.. للإنسان حق الدفاع عن النفس، بأية وسيلة والسوريون الذين كان يجري الدوس على رقابهم، والتنكيل بهم بعبارات تهكمية: هاي منشان الحرية! القوى التي ترتجف في الثورات العربية، هي نفس القوى التي تشعر بحنين للديكتاتوريات، وليس صحيحاً بأنها قوى تستسلم للثورات حين لا تستكمل الثورات مهمتها، كما فعلت عبر التاريخ، ولو أخذ الأمر سنوات.. وربما يكون ما جرى في مصر ذا فائدة كبيرة ليصر السوريون على ثورتهم وبأن أي تراجع أو مهادنة أو محاولات القبول بأطروحات يرعاها سوريون وعرب وغربيون بنصف ثورة بحجة " الحفاظ على مؤسسات الدولة"، التي هي بالأصل مؤسسات مافيا، ومؤسسات وظيفية يهيمن عليها عقل كومبرادوري غير آبه بسوريا، بقدر حرصه على نفعية تخص الحلقة المهيمنة أمنيًا واقتصادياً وثقافياً. لقد خبر السوريون المجتمع الدولي.. وكانوا الكاشفون لفضيحة السقوط للقانون الدولي، يصرخ الآن المصريون ويواجهون وهم يدركون حجم الخديعة وعجز القوى السياسية التقليدية، وخيانة النخب لدورها.. لعبة الأرقام كشفها ميدان التحرير في جمعة

الغضب، فتبين كم هو حجم " تمرد" التي يرعاها الانقلابيون.. تمامًا مثلما هو وزن بعض القوى السورية في الشارع، وهي تصرخ وبدون أن يكون لها دور حقيقي، أضف إلى ذلك كيف أن الأدوات مشتركة بين الطغاة، من الإعلام إلى الشبيحة والبلطجية وشيطنة الثورات.. أثبتت الثورة السورية ورغم كل الخذلان الذي عاشته بأنها في الطريق الصحيح، الذي لا يقبل أنصاف الحلول وأنصاف الثورات، وأثبتت صحة تصنيفها لهؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم رجال دين، ومثقفين في خدمة الطاغية، وأثبتوا صحة قراءتهم لإعلام الفتشية المتكونة..

* جمهوريات موز أم حرية وكرامة؟! لقد اختلف كثيرون معي في ذات يوم 30 يونيو حين كتبت: سيندم الكثيرون على تسمية ما يجري اليوم ثورة.. ولن يفيد لاحقًا شطب الكتابات التي تبدي فرحًا اليوم لانقلاب عسكري دموي يسرق ثورة المصريين.. ما شهدته تشيلي شهدته مصر اليوم. لقد حمل متظاهروا الإسكندرية يافطة تختزل كل القصة: الحكاية مش حكاية إخوان.. الحكاية حكاية شعب يُهان! ببساطة الوعي اكتشف هؤلاء الناس ممن طلب منهم الحاكم العسكري عبد الفتاح السيسي، الذي تارة يتشبه بجمال عبد الناصر، وتارة أخرى بالقذافي، تفويضًا للقتل والمذابح، وهو ما جرى، كنا في السابق نقول للنخب التي صدعت رؤوسنا وهي تعلن تضامنها مع شعوب " الافرو - أسيوية والأميركية اللاتينية" من نيكاراغوا حتى الأرجنتين، والسلفادور، وفيتنام واندونيسيا.. إلخ، بأن المسجد ليس استثناءً في ثورات الشعوب على الفاشية، في السلفادور لعب رجال الدين الكاثوليك والكنائس دوراً تقدمياً ببعض رجالاتها المعروفين، والذين وصل الأمر ببعضهم إلى حمل السلاح رغم رجعية بابا الفاتيكان حينها.. لم توفر الطغمة الحاكمة في السلفادور إحراق الكنائس، وإطلاق النار في داخلها، وعلى التجمعات السلمية، وكبح الحريات، وإطلاق فرق الموت في كل مكان، كما جرى في كثير من دول أميركا اللاتينة.. لم يتردد الثوار هناك للتخلص من الطغاة المدعومين بالسي اي ايه، في رفع السلاح والكفاح الصابر وبتضحيات كبيرة.. لكنها في النهاية انتصرت، وانتصرت معها الديمقراطية التي انزعج منها طغاة مصر، كأن تأخذ دولة كالاكوادور موقفاً من الانقلابيين، وبعض الدول الأخرى المنددة مثل تركيا، وغيرها في آسيا، وأفريقيا، ودول اسكندنافية، ليضم الانقلابيين كل هؤلاء إلى قائمة " المؤامرة الكونية" على طريقة بشار ووليد المعلم.. والتكرار السمج لحسن نصر الله الذي يذكرنا برجال العصابات، وفرق الموت، التي عملت تحت إمرة الطغاة وهو يدعي المقاومة، مهددًا بالذهاب بنفسه إلى سوريا لمحاربة السوريين المنتفضين، والذين يقاتلون من أجل كرامتهم وحريتهم..

يراد لدول الربيع العربي ولنتائج ثوراتها أن تصير دول موز مقسمة بين روسيا والصين والولايات المتحدة.. فلكل نظام ينتج عن نصف ثورة سيؤدي إلى توكيله بدور وظيفي لا تستثنى منه حماية الحدود في الجولان وسيناء، مع هراء الكلام عن الديمقراطية الوحيدة في المنطقة.. ومن يفتح أبواب التدخل الخارجي، هو الذي يرتهن من جهة لمواقف طائفية، ومال طائفي، ومن جهة أخرى خرافات دينية تقوم على التلاعب بغرائز الدين عند الناس، عن مقامات شيعية وما شابه.. ومثلما يستغرب البعض كيف تتلاقى مواقف السعودية وإسرائيل وحزب الله والأسد وإيران في مصر، وتختلف حول ما يجري في سوريا.. يدرك الشعب السوري بأن ثورته لم تقم لأن تياراً ما قادها أو أطلقها، ولم تقم الثورة على أساس ما لعب عليه بخبث إعلام بشار وتوابعه، عن " الطائفية والأقليات" وإقامة فرز مجتمعي مدمر، لا ينقذه سوى وطنية الثورة.. سوريتها وخصوصيتها بعيداً عن الوقوع في فخ " الدم السني واحد"، وحتى عن شعار " السنة سيأكلوكم" لإعادة إنتاج ذات النظام بشخوص مختلفة تحت مسميات " الحل السلمي في جنيف 2"..

إدراك الثورة السورية وثوراها (في الشقين المدني والعسكري) لأهمية الوحدة ووضوح الموقف من أهدافها بعيداً عن أحلام الإقصاء الذي يجريه ممن وقع في فخ العسكر بمصر، من القوى التي شاركت في ثورة يناير.. هو الذي يؤدي إلى الانتصار الحاسم، والتخفيف من الأثمان التي تدفعها كل الثورات.. ما يسمى " دولة العراق والشام الإسلامية" ليست الثورة السورية بل حالة تسلقية ذكر حازم نهار كيف قال له في ٢٠٠٥ أحد قيادات الأجهزة الأمنية: نحن خلقنا الزرقاوي، ومستعدون لخلق ألف زرقاوي.. التصدي للتشتت كررناه عشرات المرات، ووضع حد لتجاوزات تتقاطع في مناطق سورية معروفة مع ممارسات النظام الفاشي لا يمكنها أن تضر بالثورة؛ بل بالعكس يمكنها أن تجعل من الثورة السورية تستفيد من تصحيح الأخطاء.. فسخافة الأحكام بالإعدام هنا وهناك واعتقال الناشطين وخطف الإعلاميين هي ممارسات مقلدة للفاشيين الأسديين، وواهم من يظن بأنها ممارسات سوف ترعب السوريين وتوقفهم عن ثورتهم.. لقد اختار السوريون هدفاً واضحاً: إسقاط النظام بكل رموزه ومرتكزاته.. سواء قبل بعض الرفاق أمثال هيثم مناع، وحسن عبد العظيم، أم لم يقبلوا.. جاء الانقلاب في مصر ليؤكد صحة الهدف الذي وضعته الثورة السورية، والماضية في تحقيقه، وعلى القوى التي تعتبر نفسها ممثلة لها أن تقلع عن رهن مواقفها بمواقف الدول، بل بمواقف الشعب وتضحياته قبل أن يصير حالهم كحال تلك النخب المصرية السياسية، والدينية التي أصبحت منبوذة بشكل فضائحي..

من يغيب الضمير والإنسانية في موقفه مما يجري في مصر وسوريا سيدفع ثمنًا كبيراً من إنسانيته أولاً وأخيراً.. ولن تفيد كل المليارات والارتهانات، والحماية لا غربياً ولا عربيًا، من النهايات الطبيعية للثورات الكاملة.. الشعب السوري لن يقبل أن يسقط رأس نظام كما جرى في مصر، ليعاد إنتاج نفس النظام ولو بلبوس دينية أو علمانية.. كل أهداف الثورة السورية تثبت اليوم لماذا يلهث الكثيرون لتكبيلها وتأخير انتصاراتها.. حتى من قبل من يرتدي ثياب الثورة.. في صفوف ثورة السوريين هناك أكثر من برادعي وصباحي وجورج إسحاق ومعاتيه. إعلام رديء وبقايا قوى عاجزة عن اتخاذ موقف غير قائم على الكيدية والنكاية! وهؤلاء ببساطة شديدة في صفوفهم أمثال تضراوس وشيخ الأزهر مثلما هناك محمد بدر الدين حسون الذي ينافق حزيناً على كنائس لا نعرف من حرقها، بينما تحت ناظريه يحرق سيده بفتوى " الجهاد" مئات المساجد والكنائس.. وقبل هذه وتلك حرق البشر الذين هم أسمى من كل إسمنت ومركز أمني يسمونه ممتلكات عامة!

حضور العنف وغياب العقل

■ خالد كنفاني

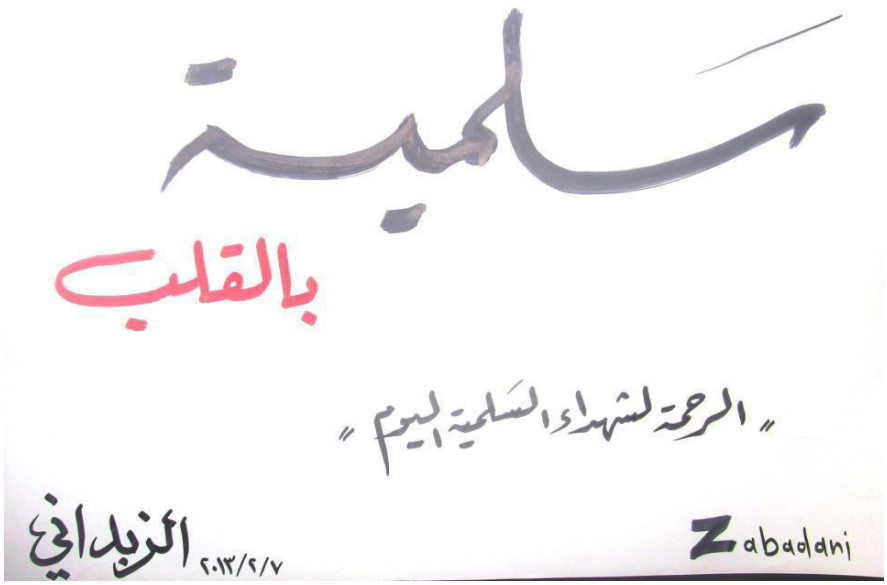

بين العقل والجنون شعرة..

كسرها السوريون عند الاختبار الأول..

لم تطق عقولهم شبه الغائبة والمغيبة بفعل فتاوى رجال الدين ومقررات الحزب ونشرات الأخبار ومناهج المدارس المدجنة حدوث أهم وأخطر تغيير على المستوى السياسي في الحياة القصيرة من عمر هذا الوطن.

انقلبت ثورتهم جنوناً وعاصفة من العنف المدجج بالفتاوى (أيضاً) والأفكار الواردة والصادرة والمجيش بشحن إعلامي مشبوه وموجه نحو شعوب أخرى بطريقة غير مباشرة. كان العنف ولا يزال الطريقة المثلى لحل مشاكل السوريين حتى على أدنى المستويات الاجتماعية والاقتصادية.

شكل غياب الدولة والقانون مرتعاً خصباً لكل المجرمين والسارقين واللصوص وأصحاب السوابق ليشكلوا إقطاعياتهم الخاصة ويفرضوا أتاواتهم على ما تحتهم من ممتلكات ومناطق وذلك على مرأى ومسمع من الدولة ذاتها والتي رأت أن ذلك هو الطريقة المثلى للسيطرة على الناس والتحكم بهم.

وكان ذلك الفخ الاجتماعي هو الأقسى على طول المرحلة، فلدى اهتزاز سيطرة الدولة انفردت تلك الإقطاعيات والمناطق بحكمها الذاتي وتمردت على من رعاها ونماها وكانت الأهداف والشعارات جاهزة ومعدة سلفاً في تقارير قناة العربية التي وصلت حصريتها درجة التنبؤ بالمعركة قبل حدوثها.

شيئاً فشيئاً تحولت تلك الإقطاعيات والمحميات إلى "مناطق محررة" من نفوذ النظام غير أن الفخ العميق كان أنها سقطت تحت نفوذ نفس التكتلات التي كانت تبسط نفوذها باسم النظام ولو بطريقة غير مباشرة. يروي الكثير من أهل الرقة أن عدداً من شبابهم تم اعتقالهم أو حتى تصفيتهم لمجرد كتابتهم لتعليقات أو مقالات معارضة للجماعات الجهادية على الانترنت. هي إذا العقلية ذاتها والتعتيم والقمع ذاتهما، الاختلاف الوحيد هو الراية: من راية حزب البعث ذات الألوان الأربعة إلى راية النصرة والقاعدة ذات الألوان الأبيض والأسود.

أن المضحك المبكي في أحداث مصر وكيفية عودة العسكر وتهليل "التمرد" لقمع اعتصامات الإخوان في الساحات والميادين يبعث في نفوسنا كسوريين شيئاً من الرعب الحقيقي يضاف إلى أطنان القهر والعذاب والعنف الذي لا زلنا نحياه منذ ألف عام. أن انقلاب موازين القوى ما بين الداعمين للإخوان والمناهضين لهم وكلاهما يدعي دعم الثورة السورية يجعل المشهد مفتوحاً على كل الاحتمالات. قد يكون من سخرية القدر أن تعيد بعض القوى حساباتها ونفاجأ بانتصارات للنظام مثلما حدث منذ فترة قريبة، وقد يكون من السخرية أكثر وأكثر أن يتم فجأة دعم الجيش السوري بفعل تضارب القوى العربية والدولية لحرق ما تبقى من البلد.

لم يكن الإخوان ذوي نية صادقة في حكم مصر، وكما عابوا على الإيرانيين تبعيتهم للولي الفقيه فإنهم جعلوا مرجعيتهم حكم المرشد، وكانت أولى شعارات الثورة الثانية "يسقط حكم المرشد" بعد أن تركوا شعار "يسقط حكم العسكر". وكان القرار الجماهيري الشعبي للرئيس محمد مرسي بإعلان الجهاد في سوريا وإغلاق السفارة السورية في القاهرة والسفارة المصرية في دمشق رغم بقاء السفارتين مفتوحتين لأكثر من عشرة أشهر من حكم مرسي، نقول كان ذلك القرار بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير نظراً لقيام الكثير من الخطباء والمتكلمين في ذلك المهرجان الذي أعلن فيه القرار بالتهجم على الشيعة والمسيحيين وبحضور الرئيس الذي لم يعترض ولم يتدخل لوقف هذه المهزلة الوطنية الكبرى.

بدأت هذه الأيام أعلام القاعدة بالارتفاع في بعض ميادين مصر، وفي ذلك ما يشي بالكثير من السواد المقبل على هذه البقعة من العالم، فبعد قيام النصرة ودولة العراق والشام على عدد من المناطق ورفع الأعلام السود ودوس علم الثورة أو ما تبقى من كرامة لدى السوريين فإن التأثيرات المتزايدة للفكر الأسود تزيد من ضبابية المشهد وقتامة المستقبل.

لن نخوض في التعميم إذا قلنا أن أكثر "المناطق المحررة" اليوم هي مناطق كانت مرتكزاً هاماً للنظام فيما مضى، وكل السوريين يعرفون من أي المناطق كانت تتركز قوات الشرطة العسكرية والشرطة المدنية ورئاسات الوزارة المتعاقبة، وكل السوريين يعرفون دور رجال الدين في قمع الناس ومساهمة التجار في تكريس النظام. قامت مجزرة حماة في الوقت الذي كان فيه مفتي الجمهورية أحمد كفتارو يصدر فتوى تقضي "بإسلام" العلويين وإبطال أقوال ابن تيمية في هذا الشأن وذلك لتهدئة الشارع السني، بينما كان تجار دمشق وحمص وحلب واللاذقية يحابون النظام ويجارونه بل ويشاركونه في صفقات الغذاء والسيارات والمقاولات. تذكر كل مذكرات المعتقلين في سجون تدمر وصيدنايا أن أكثر أفراد الشرطة العسكرية في تلك المعتقلات كانوا من أرياف درعا وإدلب ودير الزور وحلب، وكان هؤلاء يمارسون عنفاً شديداً تجاه المعتقلين يفوق ما قام به باقي الضباط. ونحن هنا لا نعفي النظام المجرم من أي من جرائمه بحق الكرامة والإنسانية ولكن الحقائق التاريخية يجب أن تكون على الطاولة قبل الدخول في مهاترات من قبيل من دعم النظام ومن قام بالثورة، ومهاترات من قبيل من يجب أن تكون عاصمة سوريا بعد الثورة ومن أحق بالحكم الذاتي.

تكلمنا كثيراً عن خرافة الوحدة الوطنية وعن خرافة أن السوريين شعب واحد وها هي معالم التقسيم تطفو للعلن رغم أن بوادرها بدأت بالظهور مع بدايات الثورة، كان الحراك في مناطق الأكراد يركز على رفع أعلام كردستان وقليل من أعلام سوريا، كما أن الخلاف على تسمية الجمهورية بين العربية السورية أو السورية بدا واضحاً في عدد من مؤتمرات اقتسام جلد الدب قبل صيده. أما السنة والعلويون والدروز والاسماعيليون فقد بدا أن مسألة التقسيم لديهم تزيد وضوحاً رغم تشوش الرؤية لدى السنة والمسيحيين بشكل خاص. فالسنة ليسوا جميعاً على وفاق ولا ننسى العداء التاريخي بين مدينتي دمشق وحلب وغالبية أهلهما من السنة، كما أن الفوقية التي كان يتعامل بها الدمشقيون والحلبيون مع أهالي دير الزور ودرعا كانت ولا تزال إحدى أهم معالم الفرقة بينهم مع أن غالبية هؤلاء جميعاً من المسلمين السنة.

أن العنف الذي كانت مكامنه تزيد اشتعالاً مع السنين والذي كانت مظاهره واضحة في المجتمع الذي كان مستعداً لأي انفجار ولو بسبب حادث سيارة. كان السوريون على الدوام عنيفين في كل ردود أفعالهم، حتى أن أقل شجار بسيط في الشارع كان يتحول إلى معركة رهيبة تبدأ بإهانة كلا الطرفين صاحبه بكل أفراد عائلته منتهية بتعييره برجولته، لتبدأ بعدها معركة الأيدي والأرجل، والسبب: موقف سيارة أو كيلو خيار! كان عنف السلطة ينفجر عبر أفراد الشعب منتقلاً إلى زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم ومرؤوسيهم، كان من الطبيعي جداً أن يعود الموظف من عمله ذليلاً بعد الإهانات المتكررة له من قبل مديره فينقلب إلى وحش كاسر داخل المنزل في وجه زوجته وأطفاله الذين كانوا يعانون الأمرين من هذه الشيزوفرينيا الوطنية الاجتماعية غير المسبوقة.

يرتد السوريون اليوم إلى القرون الوسطى الأوروبية من ظلام الجهل والعنف الدموي الذي لا يميز أحداً، وحامل البندقية هو الحكم، ولن ينجو من أمامه إلا بمعجزة. أكبر تجارة رابحة في سوريا اليوم هي الدم، بإمكانك أن تقتل خمسة أشخاص ثم تربط أيديهم وأرجلهم ثم تقوم بتصويرهم ومن الاتصال بقناة العربية لبث الشريط على أنه جريمة قام بها عناصر الأمن وختام التصوير ببعض التكبيرات. لم يلاحظ كثير من هؤلاء (ولا قناة العربية بمهنيتها العالية بالطبع) أن كثيراً من هذه الأشرطة يتم تصويره في "المناطق المحررة" بينما لم تعد هذه الصور منتشرة بكثرة في المناطق الأخرى، وهذا ليس دفاعاً عن النظام بالطبع لأن كاتب هذه السطور عاش وسيموت على العداء لهذا النظام، ولكن الموضوعية والعقلانية الغائبتين في الأجواء السورية المشحونة بالعنف والكراهية والحقد الأعمى تتلمسان بعض النور في هذا النفق المظلم الذي لا يعرف نهاية.

غاب المثقفون واختبأ الكتاب وغابت مقالات العقل والحكمة لصالح الدم ورائحة الكراهية، ولم يعد من منقذ لهذا الوطن سوى هولاكو الذي يأتينا اليوم من المشرق والمغرب لا ليحررنا وإنما ليقضي على ما بقي من أمل في نهضة هذا الشعب ونهضة هذه البقعة من الأرض. أن الرايات السود التي تلوح في كل مكان من حولنا تنذر بعاصفة وخيمة العواقب وستعيش الأجيال القادمة على وقع هذا السواد قبل بزوغ شمس العقل من جديد. وإلى ذلك الحين سنبقى نجتر آلامنا وأحزاننا ونحصي موتانا لتمتلئ بها أشرطة الأخبار السفلية بعد أن نسيتنا شاشاتها في الأعلى.

آخر الكلام: يقول المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان

1994 - 1991

اليوم السابع عشر 17 / 2

أثناء الخروج إلى ساحة التنفس التقيت الرفيق الشاب يوسف زوده مواليد 1959. اعتقل في صيف 1983. وقد أمضى عامين اختصاص هندسة دبابات على حساب الجيش في الاتحاد السوفييتي، وقبلهما أمضى عاماً في دراسة اللغة الروسية. ولكي ينهي دراسته لا يزال بحاجة لعامين آخرين. أثناء إجازته الصيفية تم القبض عليه ولا يزال، وهو من قرية بين مصياف وحمص في الوادي الذي يبتدئ بالبيضا والبياضة، هذا الوادي الذي ازدهر في الفترة التي كانت فيها أفامياً، ولا يزال هذا الوادي مليء باللقى. يوسف صريح ويتصرف كالأطفال. قبل خمس سنوات بدأت تظهر لديه أنواع منوعة من التعب العصبي والنفسي، تثيره الضجة ويثيره الكلام الكثير، والنقاش والقراءات الصعبة. ومنذ عام مال إلى الصمت والوحدة، وعندما تمشي معه تجده أكثر من طبيعي، ويتكلم بطيبة عن أعصابه وعن ضَياعه، وإحساسه بالملل واللاجدوى، يمر بحالة من الفصام والزوغان في الذاكرة، ويسمع أحياناً أصواتاً متداخلة يصاحبها طنين وينقطع.

مشيت وإياه حدثته عن زياراتي، عن أولادي، عن قراءاتي، عن بيتي وانتقلت إلى الحديث عن أحوالنا، وأننا بعد تسع سنوات أصبحنا غير طبيعيين وأن اللغة -لغة المحادثة - تتواصل بمفردات غير مفهومة بل تبدو كلغة المتصوفة ملأى بالرمز والدلالات، مفتوحة على كافة الاحتمالات. شعرت أنه ارتاح لحديثي ووصفت له ما أعانيه من إحساس بالظلم وحقد على النظام. كان شارداً مع لمعان في عينيه، ويبتسم بقامته المديدة، سألته عن زياراته فقال: - طوال العام تأتيني زيارة أو زيارتان، والداه عجوزان وأخوته تزوجوا سوى واحد، وأحوالهم ليست على ما يرام قلت له: كلنا سواء في حالة العوز. وعدته بلقاءات أخرى.

اليوم الثامن عشر 18 / 2

الأنباء شحيحة ولا تحمل الزيارات مهماً. السجين دائماً ينتظر ودوماً يترقب، هناك كابوس يخيم فوق عقولنا وصدورنا، ما يجري في الخليج يشغلنا. فإذا ما توسعت الحرب البرية واستطاع العراق الوصول إلى السعودية رغم الأقمار الصناعية، فإن أمر مصير الحرب لن يكون بيد الولايات المتحدة، أما غير ذلك فالدمار مصير العراق.. مصدر أخبارنا هي محطات الإذاعات، وهي مشوشة ومشوهة، ولا من إذاعة موثوقة. البعض يقول أن إذاعة عمان صادقة، وكأنه يقول أن الملك حسين صادقاً ووطنياً. أن الملك حسين سليل عائلة إقطاعية بدوية تربت في أحضان الإنكليز.. الأكثرية بيننا لا تطمئن إلى ماضي حاكم العراق بسبب فرديته وإيقاع الجور والتصفيات فوق رؤوس العراقيين، البعض يرى أن ضرورات تفرض علينا دعم العراق وتأييد موقفه، الذي يواجه الإمبريالية وحكام الجزيرة العربية العملاء.

هل نظام صدام حسين لديه القدرة لمواجهة الإمبريالية؟ وبالأمس كان يتواصل معها ضد إيران؟.. البعض منا يشك في ذلك وقد وقع كثيرون في التضليل والغشاوة وانساقوا وراء أحلام طوباوية.

اليوم التاسع عشر 19 / 2

منذ الصباح خرجت إلى الممر وبدأت أقوم ببعض التمارين الرياضية، وبعد ربع ساعة أو أكثر بقليل، خرج المهجع السادس ودخل مهجعنا، وبقيت أكمل تماريني. من عناصر المهجع السادس المدعو أزدشير حيدر، اسمه مميز وشخصه كذلك. هو من مواليد 1942 تقريباً أميل إلى القصر، ذو جسم قوي، ومليء ومتطرف في آرائه، وكان في الجيش وفي اللواء (70) مع صهره الرائد منير العلي حتى عام 1970، ومن الأنصار المتحمسين وأصدقاء العقيد عزت جديد، وهما ممن استدعاهم اللواء حافظ الأسد في بداية حركته (التصحيحية) وحاول إقناعهما بوجهة نظره ضد القيادة، وضد صلاح جديد بالذات فلم يقتنعا. وتم فيما بعد تسريحهما. أزدشير برتبة نقيب وأبو علي منير برتبة رائد. سألته عن صهره قال: أحسن وهو يسير نحو التحسن مع رحيل البرد، وسألته عن أذنه اليمنى قال: - سيئة جداً ولا أسمع بها، وسألته عن قراءاته ومستوى رؤيته، فقال: إنني أعاني من قصر النظر. رغم الظاهر الذي ينبئ بجودة عينيه وسعتهما. بعد تسريحه عام 1971 عمل في إحدى شركات التنقيب عن النفط، والتي مقرها في سورية وسافر إلى العراق، وإلى إيران لكونه موظفاً إدارياً في هذه الشركة، ما يلفت النظر في هذا الرفيق هو اسمه، فهو اسم إيراني وكان هذا الاسم يطلق على أحد الأكاسرة قبل الإسلام، ومعناه باللغة الفارسية القديمة الأسد. والملفت للنظر أن والده سكن في حمص واشترى عقاراً وفتح محلاً لبيع الحبوب بعد الحرب العالمية الأولى قادماً من جبال اللاذقية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية أسفار هذا الوالد المتواصلة إلى إيران وارتباطاته بصداقات مع رجال ومشايخ من شتى محافظات القطر الإيراني، فسمّى ابنه على اسم أحد أصدقائه وكان يزوره في إيران، وكان هذا يأتي لزيارته إلى سورية. تعرض الرفيق أزدشير أثناء التحقيق لضرب قاس ومبرّح أكثر منا بقليل لكونه من الأعضاء الأساسيين في التنظيم العسكري، ومن الذين مثلوا هذا التنظيم في المؤتمر الحزبي، الذي عقد على الأرض الأسبانية برئاسة الرفيق إبراهيم ماخوس وزير الخارجية قبل الحركة الانقلابية التي قادها حافظ الأسد. كما تعرض الرفيق أزدشير لصعقات بالتيار الكهربائي شديدة الفعالية، كما عطبت (الكرسي الكهربائي) ظهره. وعندما جرى اعتقاله في حمص كان على رأس المفرزة التي اعتقلته الضابط الرائد غازي كنعان إبن دورته، وقد طُلب منه حياً أو ميتاً وكان يومها رئيس فرع التحقيق العسكري في حمص.

من جوا الزنزانة طالعين عالحرية | تصوير عبد الله الأصيل

ودعته وتمنيت له التحسن في صحته، وفجأة أعلن رقيب الانضباط أن المهاجع ذوات الأرقام: 10، 9، 8، 7، التي تتأثر بالرطوبة يجب خروج عناصرها، وأن يحملوا معهم البطانيات والفرش إلى ساحة التنفس من أجل تعرضها للشمس.

منذ شهر أو أكثر لم أر الشمس ولم أمش تحت أشعتها، وهكذا رأيت الآن بفرح بعض الغيوم البيضاء ورأيت بين فراغات هذه الغيوم السماء الزرقاء، وكان رف كثيف من العصافير يمر فنراقب كل ذلك بلوعة ولهفة واشتياق.

اليوم العشرون 20 / 2

نسمع إذاعة طهران، نسمع إذاعة عمان، نسمع تونس، الجزائر، وكل إذاعة أجنبية ناطقة بالعربية كي نسمع شرحاً عن المبادرة السوفيتية بشأن حل مسألة حرب الخليج. أن العراق يتم تدميره دون أن تقع المعارك البرية المرتقبة، وكأن صدام يرسل ضباطه قصداً إلى الموت، تقول المبادرة: أن السوفييت لا يسمحون بتدمير العراق، كما أن السوفييت يدعون إلى عقد مؤتمر لبحث شؤون المنطقة، وفي طليعتها الصراع العربي – الإسرائيلي، وربما يجري الحديث عن أمور لبنان، لأن وجود القوات السورية بلبنان هو برضى أمريكي وبوفاق صهيوني بين الأمريكان وإسرائيل. طارق عزيز في موسكو وفور عودته عن طريق البر ستؤكد الوقائع أهمية انعقاد هذا المؤتمر.

هناك رفض ومراوغة لانعقاد المؤتمر من قبل أمريكا وإنكلترا ومعهما كافة الحلفاء، أن نقل الأخبار بين المهاجع عن طريق شبابيك التواليتات مستمر، يقول رفيقنا للمهجع، الذي كان يقف ويلتقط الأخبار من النافذة: أسمعتم؟ ماذا قال الشاذلي بخصوص القوات العراقية وقدراتها، وهل سمعتم ماذا قال القليبي أمين الجامعة العربية المستقيل؟ وفي الممر أثناء التقاء أفراد مهجعنا بأفراد مهجع آخر تسمع النقاشات، والتحليلات، والتأشيرات ورفع الأيدي، والأصوات. وثمة من يقول أن الهجوم الأمريكي زاد من وطنية صدام، وأن أمريكا مصرّة على إنهاء العراق لا لأن حاكمها مستبداً، بل لأنه قرر أن يواجه مصالحها وعنجهيتها ويريد أن يعترض طفلها المدلل "إسرائيل".

أعتقد أننا نتمتع بحرية الكلام هنا أكثر من الذين خارج (السجن)، أن الكلام هنا موجود والحركة هي الممنوعة. أما الذين في الخارج فحرية الكلام ممنوعة وحرية الحركة هي المسموحة، كلانا – هم ونحن – يلزمنا ما يحقق إنسانيتنا وآدميتنا.

بوحدتنا نستعيد سوريتنا

■ زليخة سالم

الثورة ستنتصر، هذه حتمية حركة الشعوب عبر التاريخ، رغم كل ما يعتريها من هنات هنا أو هناك، ورغم التدخلات الخارجية والداخلية لحرفها عن أهدافها، والفوضى التي تخلق مناخاً مناسباً للشوائب والمرتزقة والخونة، مستغلة الواقع وانشغال الثوار بانجاز ثورتهم، وصعود المتسلقين والفاسدين وتجار الدماء وعصابات السلب والابتزاز، وتشكيل تنظيمات أو تجمعات سياسية عشوائية، إلا أن إرادة الشعوب بالنهاية هي التي تنتصر بدون منازع وتكنس في طريقها كل الأوساخ التي سقطت على أطراف مسيرتها.

الثورة هي التغيير الشامل والجذري وهدفها ليس رأس النظام أو النظام فحسب بل كل ما نتج عنه من دساتير وقوانين لا تخدم سوى تكريس سلطته، وعلاقاته الدولية التي جعلت من سورية دولة محتلة من قبل الفرس والروس، ولا بد أن تحدث تغييراً شاملاً بكل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية، وانقلاباً جذرياً بالمفاهيم وآليات العمل التي كانت سائدة، والانتماءات التي يجب أن تنحصر بالوطن ولا تكون أبداً لسلطة أو لشخص.

الثورات عبر التاريخ صنعتها الشعوب وأسقطت دكتاتوريات وإمبراطوريات لتفرض إرادتها في تحديد مستقبلها، وغالباً ما كانت أسبابها متماثلة كالاستبداد، وفساد النظام ء والإدارة، والقمع، وغياب العدل والقضاء، والتفاوت الطبقي بين فئات الشعب نتيجة انعدام العدالة في توزيع الثروات، وتركز مقدرات البلد في أيد من يتولى السلطة وحاشيته من المقربين والموالين والانتهازيين الذي يؤدي إلى انتشار الفقر والحاجة والبطالة والأمية وقلة الخدمات التعليمية والصحية.

والشعب السوري العظيم قام بثورته لكل هذه الأسباب مجتمعة، وثار على أعتا الأنظمة وأشدها قمعاً وسلباً لقوت الشعب، وأكثرها إلهاماً وتخطيطاً لنشر ثقافة الفساد والإفساد والانحطاط والتهميش والتجهيل وتهجير الأدمغة والكوادر العلمية والثقافية، وإلحاق الدولة بمحور الشر، ولذلك الأولوية بالنسبة لنا إزالة هذا النظام من جذوره، وإخراج كل المرتزقة وعملاء النظام من دولة العراق والشام وجبهة النصرة وحزب اللّه والجهاديين الغرباء الذين يستبيحوا وطننا بكل خسة باسم الدين، تنفيذاً لأوامر أسيادهم في دمشق وإيران بهدف إجهاض الثورة.

حتمية انتصار الثورة تفرض علينا البدء منذ الآن ببناء مستقبل سورية القانون والعدالة والمواطنة بالاعتماد على أنفسنا بعد أن خذلنا العالم أجمع، ووقف متفرجاً على إراقة الدم السوري بشكل لم يسبق له مثيل، ما يدل على رضاهم على قتل الشعب السوري وتدمير النظام للبشر والحجر وإنهاك سورية، رغم كل التصريحات الخاوية من معناها التي أطلقها ما يسمون بأصدقاء سورية، والتناقض الفاضح بين أقوالهم وأفعالهم التي كانت جلية لأي متابع.

نريد أن نبني مجتمعاً يقوم على المحبة والتسامح والتعاون والتعاضد وقبول الآخر، والتخلص من رغبات الانتقام أو الثأر، نريد أن نكون صوتاً واحداً ويد واحدة للانتقال بسورية إلى دولة ديمقراطية حرة، دولة يحكمها الشعب فقط، وهذا يتطلب ثورات وليس ثورة واحدة، أهمها ثورة على الذات، لنغير أنفسنا ونتخلص من كل العوالق والشوائب التي علقت بداخلنا من سياسات النظام القمعية والتهميشية التي كان يتبعها لتدمير الإنسان داخلنا، علينا أن نستعيد إنسانيتنا وأرواحنا وننطلق معاً كل باختصاصه وخبرته وحرفته ومهنته لبناء سورية وطناً لكل السوريين.

هذا ليس شعراً وليس خيالاً بل أنه الحل الوحيد لإنقاذ ثورتنا وإنقاذ ما تبقى من شعبنا ومن قيمنا التي كانت مغيبة ومنسية، وأتمنى أن نعمل جدياً لتوحيد صفوف ثوار الداخل ليكونوا هم الممثل الشرعي والوحيد للثورة، والتعاون معاً لسد الفراغ الذي يتركه انهيار النظام في بعض المناطق والذي تستغله كتائب المرتزقة لتعيث فيها فساداً وتنكيلاً بالأهالي، والرقة مثالاً.

الثورات العربية في عصرنا الحديث التي بدأت من تونس بإشعال البوعزيزي نفسه في ساحة المدينة لتنتشر النيران إلى مصر وليبيا واليمن وسورية التي لن تقف عندها بل ستدحرج كرة اللهب لتطال كل الدكتاتوريات في الوطن العربي، أربكت المجتمع الدولي وخاصة الغرب منه، والتخبط في التصريحات والأفعال، ومحاولات إنقاذ الأنظمة المتساقطة العميلة لها، تدحض كل محاولات البعض لتصوير هذه الثورات بأنها مؤامرات من الغرب.

سارعت دول الغرب وأميركا تحديداً لإيجاد البديل في دول الربيع العربي الذي يخدم مصالحها ومصالح إسرائيل، ووجدت في الإخوان المسلمين ضالتها، فأيدت صعودهم في تونس وفي مصر، وهي تصارع الآن لإعادتهم بعد أن أطاح الشعب المصري بهم، وهم مهددون في تونس، ما دفع الرئيس الأميركي أوباما إلى توجيه كلمة خاصة يدين فيها العنف ضد الإخوان، وإيقاف التدريبات العسكرية المشتركة التي تحدث مرتين في العام بين الجيشين المصري والأميركي، ويطالب باحترام التظاهر السلمي، ويعتبر العنف ضد الإخوان جرائم ضد الإنسانية ويطالب بالتحقيق فيها.

أي عهر يمارسه هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم قادة العالم، أوباما تجاهل أفعال الأخوان وإرهابهم وتعديهم على المواطنين والشرطة وحرق المقرات وتحريض قادتهم العلنية على إحراق البلد إذا لم يستعيدوا الحكم أو الشرعية كما يسمونها، وكان في كلمته ضوءاً أخضر لاستمرار الاعتصام وإحراق مصر كلها، ويبدو أن هذا البديل المطلوب بالنسبة لهم هو إحراق دول الربيع العربي وجرها لحروب أهلية تستمر سنوات. وهذا لا يعني أني مع قتل أي إنسان ولكني ضد تجاهل القاتل الحقيقي والمحرض، وتحميل الجريمة لطرف واحد.

أوباما الذي تبجح بحقوق الإنسان تجاهل تماماً كل الجرائم والمجازر وحرق الجثث والقصف بالبراميل المتفجرة وصواريخ السكود والأسلحة الكيماوية التي ارتكبتها عصابة الأسد بحق الشعب السوري، تجاهل تشرد السوريين وتهديم مدنهم وقراهم وحتى ذبح مواشيهم وإحراق أراضيهم ومحاصيلهم، تجاهل تحول سورية تدريجيا لمرتع للإرهاب الذي هو بالأصل صنيعتهم، وما زال يراوغ حول الحل السلمي لأنه ودول الغرب والمافيا الروسية والإيرانية يرون في الحرب الدائرة على الساحة السورية فرصة لإنعاش صناعة الأسلحة لديهم للخروج من الأزمات الاقتصادية الخانقة التي أصابتهم، ولذلك أرادوها كما النظام تماماً منذ البداية حرباً أهلية تدور رحاها لسنوات وأصروا على تسميتها بذلك قبل حتى أن يحمل الثوار سلاحاً وهم بذلك يضربون عصفورين بحجر واحد ينعشون اقتصادهم ويراقبون تدمير سورية تدميراً ذاتياً حتى تنهك تماماً ويفرض عليها الحل الذي يريدون، والحكام الذي يختارون.

السوريون الذي دفعوا حياتهم ثمناً للحرية والكرامة لن يسمحوا بأي حلول لا تحقق أهداف ثورتهم وطموحاتهم ومستقبل أطفالهم مهما كان الثمن.

والنصر لثورتنا..

سمير التنير: الانقلاب الشعبي في الوطن العربي

الشّعب أراد فهبّت رياح التّغيير

■ ياسر مرزوق

سوف تبقى الثورات الشعبية العربية مدار بحث حتى سنوات قادمة طويلة لما انطوت عليه من مفاجأة وسرعة وأهداف أخلاقية. وتشهد دور النشر العربية والعالمية المزيد من الدراسات والبحوث حول هذه الثورات التي تصوغ الحاضر والمستقبل وليس مصير العرب وحدهم وإنما الإقليم وربما العالم برمته. فمنذ أكثر من عام هبت على الوطن العربي برمته نسائم حرية، بدت في البدء ضعيفة ثم تحولت إلى عاصفة عاتية أخذت في طريقها كل شيء. كان الوضع في الوطن العربي يبدو صامداً والأزمات تتراكم من دون حلول. لكن العاصفة التونسية أجبرت بن علي على الهروب وفرعون مصر إلى السجن، وصالح إلى المنفى كما أودت بحياة القذافي، لقد فرض الشبان نظاماً جديداً، بعد أن كسروا جدار الخوف. وحطموا الفساد والمفسدين، طالبين الحرية والخبز مع الكرامة. وكان الحكام المستبدون يقولون للغرب: "إما نحن.. أو الإرهاب الإسلامي".

وكتابنا اليوم "الانقلاب الشعبي في الوطن العربي" للباحث الدكتور "سمير التنير". صورة للأنظمة العربية على حقيقتها عندما تقدم نفسها على أنها صاحبة القواسم المشتركة عندما تهدد شعوبها بالحرب الأهلية أو التفكك وتهدد الغرب بنفس الوقت بما تسميه التطرف أو بعبع الأصولية. كتابٌ يدعونا مؤلفه إلى قراءة معمّقة في السياسة العربية والدولية واقتصاداتها، وإلى تأثيرات هذا الانقلاب، وأساليب التسريع في ظاهرة التحول الديمقراطي ودور المثقفين في تحويله إلى واقع مؤسساتي ثابت.

أن ما حدث ويحدث في الربيع العربي هو انقلابٌ فكري أولاً على مقولة "نهاية التاريخ" التي راجت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وأن القطب الأوحد الأميركي سيعيد تشكيل العالم كما يريد، وأن لا مكان لإرادة الشعوب، وهو انقلاب على نظرة الحاكم العربي "مهما كان نوعه" إلى السلطة بوصفها ملكاً له، وإلى الدولة بوصفها سلعة يحق له التصرف بها للإثراء الذاتي أو للتوريث.. أما الطريقة التي اقتلع بها الشبان الثائرون حكامهم فكانت: "الانقلاب الشعبي".

وضع الدكتور سمير التنير كتابه في قسمين، شمل الأول السياسة العربية والدولية، جمع فيه الأحداث المهمة التي تناوبت على مصر، وأزمة الاستبداد العربي في اليمن والأردن والمغرب والجزائر، ثم انتقل إلى أميركا وعلاقتها بأفغانستان وأوروبا. عارضاً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للعديد من البلدان العربية، وخصوصاً تلك التي اندلعت فيها ثورات شعبية أطاحت نظم الحكم الاستبدادية وبدأت تشهد مخاضات صوب ديمقراطية حرة. من خلال مقالات نشرها في منابر مختلفة، كما يسلّط الضوء على العلاقات السياسية والبراغماتية المعقدّة التي تربط هذه الدول بالولايات المتحدة وأوروبا وتركيا، معتمداً على دراسات وإحصائيات منهجية لفهم التركيبة التي تحكم السياسات الغربية حيال العرب وتأثير العوامل الداخلية على هذه السياسات.

وتناول في القسم الثاني الاقتصاد العربي والدولي انطلاقاً من أزمة اليونان واكتشاف النفط في لبنان، إلى الاقتصاد التركي والصراع على الأسواق بين ألمانيا والصين، ووضع العالم العربي الذي لا يستطيع إطعام سكانه. كما يناقش سياسات صندوق النقد والبنك الدوليين، وما يخلّفانه من انهيارات مالية ومجاعات عالمية وسوء توزيع للثروة على مستوى العالم.

موضوعات متفرّقة لكنّها غزيرة في المعلومات، تفتح أمام القارئ آفاقاً جديدة تساعده على فهم أحداث كثيرة حصلت، وأحداث راهنة عدة تشكّل أمامنا علامات استفهام مريبة.

كما يفرد جانباً من الكتاب للشباب العربي الذين يمثلون نسبة تفوق نصف عدد السكان، أي أن عددهم بلغ 190 مليون نسمة من أصل 352 مليون عربي. وهؤلاء الشبان تقل أعمارهم عن 24 عامًا، وثلاثة أرباعهم يعانون من البطالة، ولا تشفع لهم شهاداتهم الجامعية وخبرتهم العلمية إذ لا توجد فرص للعمل. أما حكوماتهم فهي غارقة في الفساد وغير فاعلة وقادتهم بلغوا من العمر عتيًا. وتسود في بلدان مثل تونس والجزائر ومصر وغيرها كآبة سببها القمع والقهر اللذان يتسبّب بهما الحاكمون، وتدرك الحكومات في الغرب هذه الحقائق، ومع ذلك فهي تستمرّ في تأييد تلك الأنظمة المفلسة.

في الجزائر والأردن واليمن تستمر التظاهرات إذ أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والحياتية تتماثل في أقطار الوطن كافة. وتكشف برقيات "ويكيليكس" بعض أسرار الرؤساء العرب، فتصف بعضها عبد العزيز بوتفليقة بأنه ضعيف معزول، ويريد توريث الرئاسة إلى أخيه سعيد الذي يصغره بعشرين عامًا، كما يحيط به الفاسدون من كل جانب، ولا يجد الشبان في تلك الحالة إلا انتظار الموت البطيء أو الهجرة في "قوارب الموت" التي تنطلق من ميناء عنابة إلى الغرب وقد غرق في أحدها مراد الشاذلي ابن أخ رئيس الجمهورية السابق. وفي المغرب أيضاً يقيم الشبان بعض المخيمات في انتظار فرص العمل التي لن تأتي. أمّا إذا تحرّك الشبان لإيصال صوتهم والاعتراض على الاستبداد يصرخ بعض القادة العرب طالبين النجدة من الغرب في سبيل محاربة "الإرهاب الإسلامي"، وهم في الحقيقة يعملون لتأسيس سلالات تستولي على الحكم بعدهم. هذه نظرة خاطفة إلى بعض الموضوعات التي تناولها المؤلّف في كتابه، وهي غيض من فيض الأحداث العربية المعاصرة التي عشناها ولا نزال نتلقى تأثيراتها. فهل تتمكّن هذه الانتفاضات الشعبية من تفتيت الأنظمة الديكتاتورية المستبدة، والانتقال بالحكم إلى ديمقراطية يستطيع الشعب فيها بشكل مباشر وجماعي السيطرة الفعلية على صنع السياسة العامة، لقد كسرت ثورة تونس وثورة مصر كل جدار للخوف، وجسد محمد بوعزيزي أشعل نارًا لن تنطفئ أبداً، وتظاهرات عمان وصنعاء الضخمة مطلبها واحد: رحيل الحكام والمسؤولين.

لكن المثير للتساؤل بأن كاتبنا اختار تقديم لمحات قصيرة عن السياقات السياسية والاقتصادية فيها، متنبئاً بحصول ثورات ستغيّر النظم الدكتاتورية الحاكمة في هذه الدول، وتطيح نسقها الاستبدادي. والمفارقة هنا أن الكاتب لم يناقش أوضاع سوريا وليبيا حيث الانتفاضة أخذت أشكالها التأسيسية، بل فضّل مناقشة أوضاع المغرب والأردن والجزائر، التي لم تشهد بعد سوى إرهاصات احتجاجية يجري قمعها من وقت إلى آخر، وحتى في تناوله لموضوع الإعلام العربي، ناقش الباحث سلبيات الإعلام الرسمي التابع للأنظمة، من دون أن يلتفت ولو بالإشارة إلى الإعلام الشبابي الجديد، كالفايسبوك وتويتر ويوتيوب، الذي كان له دور أساسي في الثورات العربية، لكن وعلى الرغم من بعض الهنات يبقى الكتاب مرجعاً مميزاً يعطي صورة لمشهد الربيع العربي وعلاقته بالاقتصاد والمجتمع والبعد الإقليمي.

حَمَه: مذكرات أهداف البيجمات

■ مثنى مهيدي

(للقناص عُقدةٌ مع الرأس. لماذا لا يصوّب يوماً إلى القَفَا)..

12 آب 2012 | الهدف الأول

لا يمتلك القناص فقط قدرةً فريدةً على التصويب.

وإنما اختياراً رائعاً للتوقيت. لا أعني بذلك توقيتَ الإطلاق أو التسديد عملياً.

إنما اختيارَ لحظة رائعة من حياتي لكي يقتلني.

لقد أصاب رأسي تماماً قبل أن أضع في فمي القطعة الألذ من البوظة المخروطية الشكل (كورنيه).

وهي الذروة السفلى للمخروط.

وأنا أعلم الآن مدى حزنكم الشديد. وتضامنكم معي..

26 آب 2012 | الهدف الثاني

فكر القناص. دائماً مشغول. في باله سيناريو مرسوم. لا تأتيه لحظات فراغ.

فإما منهمكٌ بسيالةٍ عصبية تنتهي بالسبّابة. أو بتقليب موبايله مُستخدماً الإبهام. لا فراغ. كالذي كان في رأسي لحظة خرجت من بيتي. لا شيء تماماً. لا نيّة. لا سيناريو. لا دُعاء. ولا حتى استحضار ذكرى.

و أنا الآن أعلم مدى شفقتكم علي..

3 أيلول 2012 | الهدف الثالث

مُتكأً إلى جانب الباص. أنتظر صعود الركاب المسافرين. أو السائق. أنتظر المعاون لكي يفتح صندوق الباص. ثم يبدأ بتنظيفه قليلاً. قبل صعود الناس. يمر رجلٌ مسرعاً. يبدو أنه قد تأخر عن رحلته. لم يصعد. يبدو أن حجزه في شركةٍ أخرى.

يمر آخر. مُسرعاً أيضاً. ينظر إليّ باستغراب. هل أنا مُخطئ في وقوفي هنا؟ هل هناك ما هو مُعيبٌ أو غريبٌ فيما أرتدي؟ لا أحد يقترب من حافلتي.

أدور بنظري عليّ أجد أحداً أسأله عن صحة موعد الرحلة والمكان. يمر أحدهم. أهمّ بسؤاله. ينحني ثم يركض مسرعاً وكأني سأضربه!!!. باص القدموس في حارة البيجمات على ما يبدو ليس للصعود!. لا زجاج للنوافذ!. لا باب! لا فرش للكراسي!. أهمّ بالنظر في داخله ثم أصعد. رصاصة القناص خلفه تجيبني: لقد تجاوزت الستر أيها المغادر. والآن تحديداً. أعطيك تذكرةً في رأسك. لقد بدأت رحلتك للتو. هذا ما حصل.

و أنا أعلم أنكم الآن تنتظرون وصولي بالسلامة..

19 أيلول 2012 | الهدف الرابع

يتسلى القناص. بإصابة الثمار. كالتفاح مثلاً. كنت أوشك على فتح كيس التفاح الذي اشتريته عند البسطة في آخر الشارع. عندما تسنّى للقناص البدء في تسليته. علمتُ بعد مقتلي. أن لبني آدم. تفاحة أيضاً في عنقه. لذا بقي الكيس مُغلقاً دون أن يتأثر. وأنا أعلم الآن. أنكم ستذكرونني كلما هممتم بقضم التفاح

7 تشرين الأول 2012 | الهدف الخامس

اعتاد المارّة على المعبر. على مداعبة القناص. بالتلطيش بضوء القداحة الذي يسبب له نوعاً من الاضطراب. لم يكن في جيبي قداحة في تلك الليلة التي أحببت فيها أن أداعبه. لم أجد إلا الضوء الصادر عن شاشة الموبايل. لكنه كان أسرع مني.

في البداية، استغربت كيف استطاع إصابتها بدقة رغم صغرها. لكنني تذكرت. أنها كانت تحوي صورة صديقي الشهيد في شاشة الخلفية. أصابه في الرأس. مرتين.

وأنا أتعذب الآن. كلما اتصل بي أحدهم. فأضطر للرد حتى أتعرّف صوته. إذ لا أشاهد اسماً قبل الرد..

حارة البيجمات - حي القصور - دير الزور - سوريا

ملصقات إعلانية، في زمن الحرب

■ جمال داود

كيف تكتب القصائد في البلاد التي تخوضها الحرب؟
لابد لنا من البحث، في ذاكرتنا عن الأحياء..
غير القابلين للموت، ونسألهم عن أسرار النجاة قبل الحرب، وخلال الحرب، لأنهم وحدهم، من يقرؤون الشعر..
وكنتُ أنا معكم هناك.. قبل الحرب
نقشا على جدران الشعلان، يحفرني طالب عاشق أمضى جل مراهقته، يهرب من مدرسته، ليحفر أسماء البنات..

وكنتُ
ذكرى على آخر مقعد في السرفيس
"حب لآخر العمر"
"لن تفرقنا الأديان"
"عبير تحب محمد إلى الأبد"
ثم جاء أحدهم وأغلق لي عيناي وكتبني من جديد، موفق مر من هنا

وكنتُ
حبرا في رسالة غرامية، رميت في كراجات العباسيين، من فتاة ريفية أتعبها عشق شبان المدينة الذين يختفون بسرعة ويبرعون في اختلاق الأعذار.. ولا يفهمون لماذا تكتب الرسائل الغرامية حتى الآن؟

وكنتُ
رقما عابرا فوق الأهل وكتّاري الغلبة، في مطعم ما، أو كراج ما، أو سوق ما..
رقما مغامرا قد أصل ولا أصل، وقد تتصل صاحبة الغمزة الخجولة، وقد لا تتصل..

وكنتُ
خربشة، على طاولة في ال"In house"
We are human، not animals، motherfucker
أو صليبا مقلوبا أو مفتاح النيل، أو رمزا ما لمتلجي مر من هنا..

وتلك الحرب لا تتوقف..
كلما شرعت في كتابة قصيدة، لميت يموت آخر
وتلك الحرب الخبيثة، اغتالت أولا، من يقدر على إطفاء الحروب.. وتلك الحرب الحقودة، تقتل كل شيء يصلح بعد للحياة فينا
وتلك الحرب العنيدة، المستعدة، تذيق الموت للجميع، دون أن تخدش إصبعها
وتلك الحرب المتطرفة، تحرق كل اعتدال.. حتى في المشاعر والشعر
وتلك الحرب المحلية، لا يغريها إلا هدم جحور العشاق، والأماكن السرية الأخرى، التي مارسنا فيها الحب، عنوة عن كل المتحاربين..

وكنتُ
دندنة لمراهق يقف ساعتين على المرآة، ربما تكون أول مرة في حياته، يلمس فتاة، من لحم ودم، لا من شريط فيديو ممغنط أو قرص ليزر..

عذرا أيها الجنرال، مدافعك تدك ذاكرتي، المنتفضة..
والشعر قبلكم كان موزونا وبقافية الحرب، دمرت القوافي.. والاتزان..

.. وكنتُ
كرسي حديقة في السبكي، كلما غابت الشمس تُسرق فوقي القبلات، وأحيانا..
كانا ثائرين، يسرقانها قبل المغيب وأغطيهما..

وكنتُ
جرحا في يد عامل، ينتظر أن يزول في حضن الزوجة والأطفال.. رغم القهر وسوء الحال..

منذ شهور وأنا أحاول إدخال الإبرة في الخيط لأكتب لكم..
لكن الاهتزاز الذي يحدثه ذاك اللغم البشري المشوه.. أدخل الرعشة إلى خواطري وأفكاري المريضة بالخوف..
هل يعقل أننا أصبحنا في زمن الكتابة بالبراميل؟ لكل عصر أسلحة وشعراء يقذفون البراميل المتفجرة بعشوائية، من الطائرات؟ فوق مدنهم؟ فوق أهلهم؟ ودون أن يعلموا وجهة البرميل.. ترى كيف سيكون شكل الشعر في تلك البلاد؟ المتخلفة؟
شعر يقذف كالبرميل؟ من كبد السماء..

وكنتُ
شباكا هرما في باب توما، في حارة ضيقة، قرب حمام السوق، أراقب العشاق على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ومناطقهم وأعراقهم.. يتبادلون القبلات والعناق والغمرات.. وكأنني أنا الشاهد الوحيد على وطنية هذا الوطن..

أبو أحمد، إلا تعرف أن تعدل الهاون؟ أو تثبت تلك الحجرة تحته تماما؟ أو لعلك تستعين بحجرتين؟ أو عين مفتحة، عين مثقفة واعية، غير متعبة
أو غير حاقدة أو لا تحب الفهمنة؟؟ أو تشتري لك منظارا روسيا من تحت جسر الرئيس، لترى أين يهبط الهاون، فقط سقط هنا، تماما بين حروفي وبين الثورة..

وكيف يكتب الشعر في بلاد يرمى بها الهاون بالتخمين؟
بالقافية؟ بالنثر؟ بالتفعيلة؟ بالتفعيل؟
ربما يجب أن يكتبوا في كتيب الاستعمال عند رمي الهاون، يبقى استعمال أي وسيلة تقوي النظر، وتصيب الهدف، أفضل من التخمين..
وهل من يرمي ذلك الهاون، كان قد قرأ صفحة من كتاب؟ أو غلاف؟

وكنتُ
عتبة على باب المسجد الأموي، يجلس فوقي السياح الأجانب والمحليون ويلتقطون الصور ويمتلؤون برائحة دمشق وخطواتها، ويقيمون الصلاة حتى النشوة، ثم يذهبون لشرب الفودكا، أذكركم دمشق مرت من هنا..
دمشق وحدها من تملك الجرأة، لتفعل ذلك..

وكنت بتلة من ياسمينة، اصطدمت بشابة مهرولة، تأخرت عن موعدها بضعة دقائق، وقد كانت تحيك الكذبة ووالدتها منذ الصباح، ومنذ أن جدلت بتلاتها.. تحت الإشارب..

هيئت لكِ مكانا هنا، لأضع فيه، ما تركتيه في روحي من أمل، لأكتب وأحلم.. بغد آخر.. لكن كلمة هنا، عابرة، سوداء، فجرت نفسها، لتقتل باقي كلمات الحب.. وتبعثر حروفنا..

.. وكنتُ معكم هناك.. قبل الحرب
نظرة عابرة في سرفيس أو باص، معناها: أريدك حالا دونا عن كل الركاب، لو أنهم يختفون فجأة وانهال بين ذراعيك، لو أنهم يتحاربون ويتركوننا وشأننا.. لو أنهم يرحلون..

أيتها البلاد التي تركتنا لأقدارنا، 3000 سنة، 4000 سنة، لم تتعلمي النطق؟ لتقولي لهم أنكِ الباقية وهم الراحلون؟
أيتها البلاد الهرمة التي تنشردق باسمها كل صباح، ونمرض بحبها كل اغتراب، أما أن الأوان لتشبعي عطشك الدائم، من دماء هذا الجيل؟
أيتها البلاد الحزينة، كأم خطفت منها الحرب أربعة أطفال. أيتها البلاد النذلة، كضابط يقصف أهل مدينته.
- أيتها البلاد المطنشة، كنصف هذا المجتمع الصامت
- أيتها البلاد الموجوعة، التي تخلع أبناءها العاطلين، ضرسا ضرسا..
- أيتها البلاد الطامعة، كرئيس يذبح شعبه
- أيتها البلاد المغفلة، كقطيع يسوقه رجل دين كان في الماضي رجل طاولة
- أيتها البلاد التعيسة، كصاحب منزل في حلب، تناوب على سرقته، "الجيشان"
- أيتها البلاد التي لاتيأس، كأسرة تخاطر بحياتها من أجل الخروج في السيران..
- أيتها البلاد الـ لا لنا.. قولي للقادمين أننا، قتلنا أنفسنا بأمر منكِ، لا بسبب الخوف.. من بعضنا
لا بسبب السم الذي يفيض عن كتاباتنا..

وكنتُ قبضة باب عتيق، في بيت عربي، حفظ كل البصمات منذ ولادة أصحابها، حتى هجرتهم الحرب، إلى حيث يكونون بلا هوية أو بصمة..

وكنتُ
أمنية ساذجة لشاب نسونجي، لو أن الشبان في مدينتي يختفون، وأبقى وحدي مع أجمل نساء الأرض هنا، حتى في أعظم أحلامي، لم أتوقع هذا أن يحدث فعلا.. لم يبق عشاق في المدينة ولا ملطشين.. غيري
لكن الأمنية لم تكتمل.. فحتى أنا رحلت، واختفيت..

وكنت.. أتمنى الثورة حين أردتم أن تكونوا ثورة..
وكنت أول قطرة مطر هطلت حين قررتم أن تفجروا السيل من السماء
وكنت خطوة في الطريق لصناعة معجزة، معجزتكم التي تحدث عنها العالم بأسره..
وكنتُ لحظة أمل في فجر ربما يعيش وربما يموت في ظلمة المعتقل
لم أكن لأكترث.. لم أكن لأوفر لحظة دون العيش مع أحلامكم في النهوض..
أما الآن.. وقد جاءت الحرب
لتقتل الحب الذي كان فيكم
ليس علي سوى أن أموت..
وأنتظر
ولادة أخرى
لكم
ولي
وللحب

ملاحظة: كتبت هذه الخاطرة في زمن الحرب، حيث بات الناس يتحدثون بالرصاص، ويسلمون على بعضهم بالرصاص، ويتكاثرون بالرصاص، ويتمرجحون فوق الرصاص
فلا أمل يرجى بعد، من كتابة الخواطر على الهامش: كل محاولات بائع البليلة والتماري والذرة المشوية والفلافل لدفعكم للقراءة لم تنجح، كان ينبغي أن يفرضوا ملصقا على كل بندقية، لمغلف كتاب عن الحب والإنسانية (التقويص ضار بالصحة، ننصحكم بقراءة "مائة كتاب" على الأقل قبل استعمال هذه البندقية).

الداماد أحمد نامي 1878 - 1963

■ ياسر مرزوق

ولد أحمد نامي بيك في بيروت عام 1878 لآل نامي من سلالة الأمراء الشركس من قبيلة الشابسوغ القفقاسية التي استقرت في سوريا أواخر القرن الثامن عشر، وقد شغل والده "فخري بك" منصب رئيس بلدية بيروت فكان من رؤسائها البارزين، وعرف عنه الأعمال المعمارية كفتح الطرق وتشييد الأبنية وإنشاء الحدائق ومنها الحديقة الحميدية وساحة البرج وخان فخري بك.

تلقى أحمد نامي تعليمه على يد أساتذة خصوصيين ثم أوفده والده إلى اسطنبول حيث انخرط في الكلية الحربية ولم يتخرج منها برتبة ضابط، بل انصرف إلى العمل الإداري، فتوظف في مكتب إدارة الدواوين العثمانية، ثم عين أمين سر ولاية بيروت وأخيرًا أمينًا عامًا لولاية أزمير خلال تواجد صديقه "كامل باشا" في الصدارة العظمى. والذي عن طريقه أيضاً تزوج عام 1910 من الأميرة عائشة، عاشر الأنجال وسادسة البنات للسلطان عبد الحميد الثاني "والتي طلقها عام 1921" فلقب على إثر زواجه "بالداماد" وهي كلمة فارسية الأصل مستعملة في اللسان العثماني ومعناها "الصهر"، ولدى اندلاع الحرب العالمية الأولى انتقل إلى خارج الدولة وأقام في سويسرا وبعد نهاية الحرب انتقل إلى فرنسا وأقام في باريس حيث نسج علاقة حميدة مع ساستها.

أقام بعد سقوط الدولة العثمانية في بيروت ومنها تم تكليفه رئاسة الدولة، علمًا أنه كان صديقًا للكاتب والسياسي الفرنسي "هنري دي جوفنيل" والذي عين عام 1925 مفوضاً سامياً لفرنسا في سوريا والتي اشتدت الثورة فيها ضد الوجود الفرنسي، ولم تفلح الحكومتان المتعاقبتان برئاسة "صبحي بركات" في ضبط الواقع وخاصةً في منطقة جبل العرب ولم تنل ثقة الوطنيين على اعتبارها متعاونةً مع فرنسا، ومع اشتداد الثورة السورية الكبرى وبعيد قصف دمشق بالمدفعيّة والطائرات الفرنسيّة. استقال "بركات" من رئاسة الحكومة وعين المفوض"جوفنيل" الجنرال أندريا حاكمًا عسكرياً على منطقتي دمشق وجبل الدروز حيث كانت الثورة مشتعلة. ويقول يوسف الحكيم،: "أن جميع الأطياف السياسية في سوريا، من وطنيين ومعتدلين قد سروا باستقالة بركات، بسبب قسوته في العمل السياسي" وتم تكليف "فرانسوا بيير آليب" في 9 شباط عام 1926 بتشكيل الحكومة والتي استمرت لغاية 26 نيسان من العام نفسه، وهي الفترة الزمنية التي حكمت فيها سوريا بحكم عسكري فرنسي مباشر.

في 30 نيسان عام 1926، استدعى المفوض "جوفنيل" أحمد نامي المقيم في بيروت إلى دمشق، حيث تمّ تعيينه رئيساً للدولة السورية ورئيساً للوزارة وفي 4 أيار 1926 أعلن عن تشكيل الحكومة "والتي كان من رجالاتها السيد يوسف الحكيم، والسيد واثق المؤيد العظم، وفارس بيك الخوري، ولطفي بيك الحفار" والتي أعلنت بياناً وزارياً وطنياً مُتطرّفاً يحمل المطالب الوطنية السورية ويُطالب سلطات الانتداب الفرنسية بتحقيقها، وأهم هذه المطالب تحويل الانتداب الفرنسي إلى معاهدة بين سوريا وفرنسا، ووضع دستور للبلاد، وتشكيل جيش سوري وطني، وقبول سوريا عضواً في عُصبة الأمم وإصدار عفو عام عن جميع الجرائم السياسية، وإلغاء الغرامات الحربية عن دمشق وغيرها، وذلك بالاستناد إلى الوعود الشفهيّة والمكتوبة من سلطات الانتداب الفرنسي والتي تنصّلت منها فيما بعد، وما أن تسلمت حكومة الداماد مهمتها، طلب أحمد نامي من المفوض الفرنسي إقالة مدير الأمن العام الفرنسي"بيجان" على إثر جرائمه المرتكبة بحق السوريين، فتمت تلبية الطلب فوراً.

في مطلع شهر حزيران من العام نفسه قامت السلطات العسكرية الفرنسية باعتقال ثلاثة من الوزراء وهم "البرازي والخوري والحفار" دون علم الرئيس نامي، وفي اليوم التالي نشرت جريدة الرأي العام الصادرة في دمشق بياناً لرئيس الدولة السورية يؤكد أن اعتقال الوزراء كان من السلطة العسكرية الفرنسية والتي كان تبريرها للاعتقال بأن الوزراء المذكورين كانوا على اتصال مع زعماء الثورة السورية، وبناءً على إلحاح الرئيس للإفراج عن وزراءه تم الإفراج عنهم ونفيهم إلى الجزيرة، وشكل الداماد حكومته الثانية في 12 حزيران من العام نفسه وكان من رجالاتها "السيد عبد القادر العظم، والسيد شاكر الحنبلي"، وفي 2 كانون الأول من نفس العام أيضاً شكل حكومته الثالثة والتي استمرت لغاية 8 شباط 1928، حين قدم نامي استقالته نتيجةً لتفاقم الخلافات بينه وبين سلطات الانتداب الفرنسية 1928. وعن مذكرات "يوسف الحكيم" الجزء الثالث صفحة / 202 / ننقل: "أسف السوريون الموالون منهم للانتداب والمعارضون الراغبون في الاستقلال التام، أسفوا جميعاً لاستقالة الداماد من رئاسة الدولة السورية، لثقتهم بنبله وإخلاصه للوطن السوري، وسعيه لوحدة سوريا واستقلالها".

رشح نامي نفسه لانتخابات الجمعية التأسيسية عام 1928 وأنتُخب نائبا عن دمشق. تصاعد الحديث في هذه الفترة عن إمكانية إعلان النظام الملكي الدستوري في سوريا، ولم تمحى هذه الفكرة من أذهان بعض الساسة السوريين حتى عام 1932حين تم الاتفاق على النظام الجمهوري وتم انتخاب الرئيس "محمد علي العابد" كأول رئيس للجمهورية السورية وقد تعدد المرشحون بين عودة فيصل الأول ملك العراق جامعًا بين التاجين، أو تكليف خديوي مصر المخلوع عباس حلمي الثاني شؤون التاج، أو الشريف علي حيدر من سلالة الشريف حسين، أو الأمير سعيد الجزائري، أو لأحد وجهاء آل العظم حكام سوريا التقليديين، كما تم تداول اسم الداماد أحمد نامي كمرشح للعرش السوري.

عام 1931 نال نامي عضوية المجلس الاستشاري السوري بوصفه رئيسًا سابقًا للدولة، إلا أن المجلس حل بعد جلسته الأولى، وعندما نظمت انتخابات نيابية عام 1932 رفض أحمد نامي ترشيح نفسه وفضل الابتعاد عن الانقسام الحاصل بين "المعتدلين" و"الوطنيين" خلال تلك الفترة، ودعم محمد علي العابد الذي سيغدو رئيس الجمهورية، ثم عاد للإقامة في بيروت.

في آذار عام 1941 خلال الحرب العالمية الثانية وبعد تحرر سوريا من حكومة فيشي استدعى الجنرال "دانتز" الرئيس نامي وعرض عليه تشكيل حكومة حيادية، لرأب الصدع الذي تركته حادثة اغتيال الدكتور الشهبندر على المشهد السياسي في سوريا فقبل نامي هذا العرض، وخلال هذه الفترة صدف تواجد خالد بيك العظم في بيروت، فاستدعاه المفوض السامي إلى قصر الصنوبر لإجراء مشاورات بشأن تكليف نامي، فبادره العظم بأن أنباء تكليف نامي كانت قد وصلت إلى دمشق وقوبلت بمعارضة مفادها أن نامي بيك ليس رجل الساعة إضافة إلى كونه غير سوري الجنسية، وأن ما يشاع عن ترأسه لأحد المحافل الماسونية لا يرضي الشارع السوري إضافةً إلى أن الداماد قضى أغلب وقته في بيروت منذ استقالته عام 1928، ودعم هذا الرأي عدد من رجال الكتلة الوطنية، ولا يخفى على أحد أن العظم كان طامحاً للمنصب وأنه يمتلك رصيداً شعبياً وسياسياً يفوق ما يملكه نامي بمراحل، إضافةً إلى أن فرنسا الحرة لم تكن حينها في وارد إفساد العلاقة مع الكتلة الوطنية خلال الحرب، فاعتذرت عن تكليف الداماد وعيّنت خالد العظم في المنصب يوم 3 نيسان عام 1941، وبذلك فإن الرئيس نامي منذ استقالته وحتى وفاته عام 1963 لم يمارس فعليًا أي نشاط سياسي في سوريا ما خلا تأسيسه لحزب سياسي تحت اسم "الحزب الإسلامي الديمقراطي" لم تكتب له الحياة.

توفي نامي ودفن في مقبرة العائلة في بيروت.

هُنا دِمَشق

سيامند حسين

(يوميات ومشاهدات) 9 آب 2013

غرافيتي على أحد جدران حلب | للفنان خليفة الخضر

تركةُ أحد المعتقلين

كان دائمَ الهجسِ بالموت، كان يراه يدنو منه كعربة بلا سائق تنحدر ببطء على طريق خفيفة الميلان. كان يهمّه كثيراً، إن حصل في أحد الأيام القادمة، أن يقابلَ شخصياً مَن سيُنهي حياته. ولذا كان يحمل في جيب كل واحد من بناطيله، نسخةً من الرسالة التي كان يتمنى أن يقرأها قاتله المفترض، بعد أن يُجهزَ عليه وينبش جيوبه بحثاً عن غنيمة ما، فيجدها. كان يخشى أن يموت جرّاء انفجار وسط العاصمة في إحدى زياراته إليها، فيُلملم أحدُ المسعفين أشلاءه المتفحّمة في كيس نايلون، أو أن يقضيَ تحت سقف البيت يهبط على رأسه، فيستخرج أحد الجيران الطيبين جثته، ثم يدفنه ذويه شهيداً بثيابه. فالقاتل في حالات كهذه مجهول بالنسبة له، وهذا ما لم يكن يرغب في تصوّر وقوعه. أمّا كابوسه الأعظم فكان أن يفتّشه الرجل، ويعثرَ على الرسالة في جيبه، فيرميها بعد أن يقرأ أول سطر فيها، ثم يشتمه ساخراً من ما سيسميه شِعراً وفلسفة، وينهال عليه ضرباً بسخط مضاعف، وتنطمس بعدها وتهترأ الرسالة على البلاط الوسخ تحت الجزم العسكرية التي ستدوسها مراراً، كأيّ ورقة أخرى أو علبة سجائر مسحوقة.

فكرّ ملياً وأعاد صياغة الرسالة مرات عديدة، حاول أن يختزلها قدر المستطاع، أن يملأها بخطاطيف تعلقُ بعينيّ غريمه في كل مقطع. ظلّ يشطبُ ويختصر، حتى خطر بباله ما هو أسوأ: ماذا لو رمى الرجل الورقة دون أن يقرأ حتى السطر الأول! لم ينجح في إيجاد حل لمعضلة هواجسه. قرّر أخيراً حمل رسالتين. ترك الأولى مفتوحة لإضافة مُحتملة. في الثانية دوّن بخطٍ كبيرٍ، واضح، جملةً وحيدة.

(1)

[ليس خوفاً هذا الذي تراه في عينيّ، إنّه محضُ حُزنٍ. اقتربْ من فضلك، وحدّق في عينيّ برهة. اقتربْ، ولا تخفْ، فأنا ميتٌ الآن. حسناً، كي تطمئنّ أكثر، أطلقْ إن شئتَ رصاصة أخرى؛ صوّبها إلى قلبي، هنا، إلى اليسار قليلاً؛ أيْ على يمينكَ أنت.

حزنٌ هائل في عينيّ، أتَراه؟ لقد عشتُ أجمعه ذرّة ذرّة. حزنٌ صافٍ لا تشوبه رحمةٌ أو نقمة. أقدّمه لك على طبق من عمريَ المهدور للتّو، لأنك تستحقّه. أنت وحدك من يستحقّ تركتي الأثمن.

ولأنها تركةُ أصابتكَ، فاسمح لي بأن أُوصيك بشيء: الآن وقد تمعّنتَ في عينيّ الميّتتين، اغسلْ وجهكَ بماء نقيّ واسألْ رفاقك من حولك، ماذا يرون في عينيك؟

دعني أسرق من وقتك دقيقة أخرى منتهزاً صبرك، وأُفصح لكَ عن سرّ كتمتُه عنك:

صراخكَ الفظيع وأنت تعذبني، كان ينزلق على زجاج روحي الصقيل، فلم أسمعه، لقد تشاغلتُ عنه بتتبّع صدى آلامٍ من سبقوني، حيث كان ينشطرُ في شعاب الجبال، وكأنّه ذهبَ ليحيى بين الطيور والذئاب. نظراتك الحاقدة، لم تكن تصلني، بينما بريقُ دموعيَ كان يشقّ كفجرٍ سهول قريتي الشاسعة، فيستثيرُ حناجر الحمام على أشجار الصنوبر إذ يصل. يدُك الضاربة بعنفٍ لم تكن تعنيني، فيداي كانتا تداعبان وجنتيّ ابنة أختي الصغيرة. رائحةُ عرقك الكريهة سدّدتْ عنها، ببسالةٍ، أنفَ مُخيّلتي، لأسمحَ للعشب الطريّ، الذي سقته أميّ مساء الخميس، أن يُبعثرَ نكهته فوق قبري.

طوال هذا الوقت الإضافي غير المحسوب في حياتي، حاولت أن أجمع مزيداً من الحزن لأقدّمه لك.

أشكرك على قراءة الرسالة].

(2)

[أنتَ لا تعرفُ الحزنَ].

اللحظة التي تلت المجزرة

يركنُ الغبارُ إلى مأواه رويداً رويداً، وتتّضح الرؤية. لا جديد يقتنصُ البصر المُتعب. ثلاثة عمارات ترقد بطوابقها الأربع أو الخمس، متلاصقة، تكاد الواحدة تخنق الأخرى، كفراخٍ تصرخ في عُشّ ضيّق. لكن لا بأس، الحجر يرأفُ بالحَجر. سبعة عشر شخصاً، ربما أكثر، أحجموا عن الحركة. بعضهم ما زال يتنفّس، أو يحاول لفظ آخر الأنفاس إثر استسلام رئتيه للاستراحة الأولى والوحيدة، منذ شهقة الولادة. بعضهم كان ثبّت بصره إلى السماء كمن أراد أن يتفادى فزع الواصلين مكان الانهيار، فزعٌ انسكب من أكباد العيون كماءٍ بارد. وبعضهم كان يُقبّل الرُكام في وداعةٍ، مُخفياً وجهه المُدمّى كمن يخجل من هزيمة أنزلت به. جُثث جميع المشاهدين كانت هناك، تستلقي فاغرة الأفواه، طليقة الأيدي، عيونها نامت على وسائد الجفون، لحظة انتهى الموت من تسديد سهامه على قاطني الأبنية الثلاث.

مقتطفات من صباح في صيف الجنرال

تُحضّر الخادمة شرائح الخبز المحمّص المُستورد تحت رقابة مخبرية، وإلى جانبه تضعُ بحيطة كأس الشاي الإنكليزي المُنكه وقالباً صغيراً من الزبدة وآخر من مُربّى المشمش. يصرفها بحركة بطيئة من يده في اللحظة التي لوّثت بصرَه سحابة دخان قاتمة ارتفعتْ برشاقةٍ في البعيد.

اعتاد الاستيقاظ باكراً قبل أفراد عائلته، يُحضّرُ قهوته ويخرج إلى الحديقة المُنمّقة، فلا تغيرات تُذكر طرأتْ على محتوياتها من ورودٍ تُسقى وفق جدول زمني صارم وشجيرات تُشذّب بعناية بستانيّ صبور، وبقعٍ خضراء من عشب يبدو اصطناعياً لشدّة انتظامه -غالباً بسبب دأب شفرات ماكينات جزّ العشب على العمل اليومي بتوصية من الزوجة-. بالرغم من القلق الذي يحاول التسلل إلى فراشه، ليلاً إثر آخر، بسبب تلك الرتابة المُلتفّة كأفعىً حول عنق الصيف الشاق، فإنه يعي تماماً ما يجب فعله في مثل هذه المِحن: تجاهل التغيرات الخارجية، فهي ستُنغّص عليه يومه إذا ما نفذ ظلّها إليه، حتى وإن كان عبور عصفور طائش ما كان عليه أن يمرّ فوق هذه الرقعة من الأرض مذعوراً من صخب العالم في الأسفل.

"صباح الخير يا عزيزي"، تقولها الزوجة بإنكليزية أصيلة تتدحرج من بين شفتيها الناعمتين على سجادة من الهواء الذي سَخُنَ قليلاً بعد أن تجاوزت الساعة التاسعة. حانت ساعة العمل في المكتب، فعليه أن يودّع المنظر من الشرفة الواسعة التي تكشف، من أعلى، معظمَ أركان المدينة. الشمسُ تقرعُ ألواح الزجاج البارزة وأطباق الاستقبال المعدنية على الأسطح، فنثرتها أشواكاً من بريق على مرآى النهار، بينما يُعكر التفاصيل في زاوية أخرى، إلى العُمق، غبارٌ مزّقه القصفُ العنيف. تُسدل الستارة الحمراء خلف عينيه، فيلتفت إلى زوجته. يردّ تحية الصباح راشقاً وجهَها بضحكته الساذجة ذاتها: "صباح الخير يا حبيبتي".

المرسوم التشريعي رقم 55 لعام 2004

الناظم للتعليم الخاص والمشترك في سوريا

■ ياسر مرزوق

ينص المرسوم رقم 55 لعام 2004 على حظر استخدام الأماكن غير المرخصة كمؤسسات تعليمية خاصة أو كمراكز للتدريس أو لتقديم خدمات تربوية أو تعليمية.

وحظر المرسوم التشريعي رقم 35 استخدام العقارات والأماكن غير المرخصة وفق التعليمات التنفيذية للمرسوم التشريعي رقم 55 للعام 2004 الناظم للمؤسسات التعليمية الخاصة للتعليم ما قبل الجامعي كمؤسسات تعليمية خاصة أو كمراكز أو مكاتب للتدريس أو لتقديم خدمات تربوية أو تعليمية لمجموعات من الطلبة ذات صلة بالمناهج التربوية الرسمية.

وينظم المرسوم التشريعي رقم 55 لعام 2004 التعليم الخاص والمشترك في سورية عبر المؤسسات التعليمية الخاصة، والشروط الواجب توفرها في التدريس للقطاع الخاص.

ونص المرسوم الجديد على حصر عمل المخابر اللغوية المرخصة قبل وبعد نفاذ هذا المرسوم التشريعي بإقامة دورات للغات الأجنبية. ويقصد بالمخبر اللغوي، بحسب التعديل الأخير له من قبل وزارة التربية، المؤسسة التعليمية الخاصة التي تقيم دورات للغات الأجنبية غير المحلية لا تتجاوز مدة كل منها 6 أشهر وفق كتب أو سلاسل موافق عليها من وزارة التربية أصولاً.

وقد أتى المرسوم بحسب المشرع بهدف تنظيم التعليم الخاص والمشترك في الجمهورية العربية السورية من خلال مؤسسات تعليمية خاصة متنوعة تكون قادرة على الإسهام إلى جانب المؤسسات التعليمية الحكومية في الاضطلاع بمسؤولية التربية والتعليم وتطويرها في الاتجاهات جميعها التي تخدم المجتمع بشرائحه كافة وتحقق أهدافه في التطوير والتحديث والتنمية ويجب أن تكون المؤسسات التعليمية الخاصة كالمؤسسات التعليمية الحكومية قادرة على الإسهام في:

1 - تطوير قطاع التربية والتعليم وتحديثه في الجمهورية العربية السورية ورفده بالمستجدات التربوية والتعليمية والتقنية المتسارعة وتعزيز التعاون بين المؤسسات الخاصة والرسمية في مراحل التعليم وأنواعه جميعها.

2 - بناء الطالب بناء متوازناً من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والجمالية والإنسانية والاجتماعية ليكون مزودا بالمعارف والمهارات والقيم التي تعزز انتماءه الوطني والقومي بحيث يكون واثقا من نفسه قادرا على تحمل المسؤولية والتفاعل الإيجابي والمنافسة على المستويين المحلي والدولي.

3 - تشجيع المبادرات في مجال البحوث التربوية والاستفادة منها وتطوير المناهج وطرائق التعليم وتدريب المعلمين وتطوير إدارة المؤسسات التعليمية.

4 - تأمين فرص عمل جديدة للعاملين في مجال التربية والتعليم من معلمين ومدرسين وإداريين وغيرهم.

5 - تأمين فرص التعليم النوعي المتطور والمتنوع لمختلف شرائح المجتمع بما ينسجم مع حاجات التنمية.

6 - ربط المغتربين في المهجر بوطنهم من خلال افتتاح مؤسسات تعليمية مناسبة لهم داخل الجمهورية العربية السورية أو خارجها.

7 - تأمين فرص التعليم المناسبة لذوي الاحتياجات الخاصة.

إلا أنه وبالرغم من شمول المرسوم إلا أنه يحوي ثغرات عديدة منها المادتين " 44، 57" اللتين تضعان التعليم الخاص تحت رحمة نصوص فضفاضة كالمنحى الطائفي أو التسميات التي تدل على انتماء طائفي أو عرقي أو مذهبي، علماً أن هامشاً كبيراً من المدارس تتبع للكنائس والأديرة وتأتي تسمياتها دينية أو طائفية بحتة لكن هذا لا يعني تطرفاً أو تشدداً

المادة 44: تغلق كليا المؤسسة التعليمية الخاصة إذا ثبت بالتحقيق الذي تجريه الوزارة اختلال حالتها المادية أو تدني مستوى التعليم فيها أو تبين أن فيها فسادا أخلاقيا أو ترويجا للشقاق الوطني أو منحى طائفيا أو مذهبيا أو تكرار المخالفات بعدم الالتزام بالتعليمات الوزارية ويحدد قرار الإغلاق كيفية تصفية التزاماتها تجاه الطلبة والعاملين فيها وكيفية التصرف بالموجودات التي استفادت من أحكام المادتين 54 و55 من هذا المرسوم التشريعي.

المادة 57: لا يجوز أن يطلق على المؤسسة التعليمية الخاصة اسم يدل على أي انتماء طائفي أو عرقي أو مذهبي. كما لا يجوز لهذه المؤسسات أن تكون جزءا من مؤسسة أو جمعية سياسية أو دينية

أما بالنسبة للعقوبات بحق المؤسسات المخالفة فنصت عليها المادة 42: تتخذ بحق أصحاب المؤسسات التعليمية الخاصة المخالفة لأحكام هذا المرسوم التشريعي إحدى العقوبات الآتية بناء على اقتراح اللجان المختصة بحسب طبيعة المخالفة:

أ - الإنذار: يطلب إلى صاحب الترخيص خطيا إزالة المخالفات وتداركها خلال شهرين من تاريخ تبليغه الإنذار تحت طائلة فرض عقوبة اشد في حال التكرار.

ب - التعويض مقابل الضرر.. ويفرض إذا كانت المخالفة ذات اثر مادي وفق المعايير المعتمدة.

ج - الوضع تحت الإشراف المؤقت ترفع بموجبه يد صاحب الترخيص عن الإدارة وتتولى الوزارة النواحي التربوية والإدارية والمالية نيابة عنه بوساطة المدير المشرف وفق التعليمات ويتم دفع أجور العاملين فيها حتى نهاية العام الدراسي

وللوزارة الحق بتجديد الوضع تحت الإشراف المؤقت حتى زوال الأسباب وفق الأسس المحددة.

د - الإغلاق الإداري وهو نوعان:

1 - الإغلاق الجزئي: هو إغلاق الشعب أو الصفوف أو المرحلة غير المرخصة.

2 - الإغلاق الكلي: هو إغلاق المؤسسة التعليمية الخاصة غير المرخصة نهائيا أو إغلاق المؤسسة التعليمية الخاصة المرخصة مع إلغاء الترخيص وفي هذه الحالة لا يمنح صاحب المؤسسة التعليمية الخاصة ترخيصا جديدا.

المادة 43: كل مؤسسة تعليمية خاصة تفتتح أو تغير مرحلة التعليم فيها أو تتوسع أو تنقل مكانها إلى مكان آخر قبل الحصول على موافقة مسبقة من الوزارة تتخذ بحقها الإجراءات وفق أحكام هذا المرسوم التشريعي وتعليماته التنفيذية.

أما المؤسسات التعليمية الشرعية الخاصة فقد أفرد لها المشرع باباً خاصاً هذا متنه:

المادة 25: يسمح بترخيص المؤسسات التعليمية الشرعية الخاصة وفق الأسس المحددة في هذا المرسوم التشريعي تعليماته التنفيذية.

المادة 26: يتم ترخيص مؤسسات تعليمية شرعية خاصة للأشخاص الطبيعيين وللمرحلة الثانوية حصرا ويصدر الترخيص وفقا لأحكام الفقرة ب من المادة 12 من هذا المرسوم التشريعي.

المادة 27: تلتزم المؤسسات التعليمية الشرعية الخاصة تطبيق المناهج وأنظمة الامتحانات والأنظمة الداخلية المطبقة في الثانويات الشرعية الرسمية.

المادة 28: تعين المؤسسات التعليمية الشرعية الخاصة مديريها وإداريها ومدرسيها من حملة المؤهلات العلمية والتربوية المطلوبة في المادة 37 والمادة 38 من هذا المرسوم التشريعي بعد موافقة الوزارة.

المادة 29: تمنح المؤسسات التعليمية الشرعية الخاصة المرخصة قبل نفاذ هذا المرسوم التشريعي التي لا تدرس المنهاج الشرعي الرسمي مهلة عام دراسي كامل بعد إخطارها لتسوية وضعها وفق أحكام هذا المرسوم التشريعي.

المادة30: تغلق كليا أي مؤسسة تعليمية شرعية خاصة غير حاصلة على ترخيص اعتبارا من تاريخ نفاذ هذا المرسوم التشريعي.

إحدى أطفال مخيم أطمة على الحدود التركية في إدلب

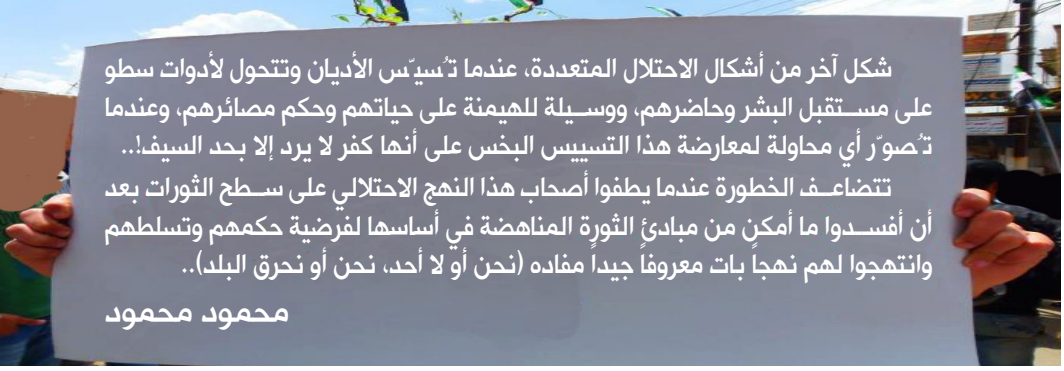

جاسم شواخ

لماذا اللئام وأنتم لاتخافون في اللّه لومة لائم؟.. لماذا التخفي كالمنقبات وأنتم في محافظة محررة؟.. لماذا لا تريدوننا أن نتعرف عليكم وأن نرى وجوه المجاهدين النيرة، والتي نتشرف بها إن كانت كذلك؟.. لماذا تقتلون المسلمين، واللّه ورسوله حرموا دمه وماله وعرضه؟.. لماذا خطفتم من يناصرنا (الأب باولو) وهو رسول سلام، وديننا يضمن الأمان للضيف والمستجير؟.. نريد جواباً سريعاً يا داعش فشعبنا قد تعب كثيراً من الظلم ومو ناقصنا أمثالكم..

فادي عزام

من يريد توزيع الحلوى لأن البادي أظلم فليفعل. من يريد الشماتة بقتلى الضاحية فليفعل.. من يريد أن يقول أن حسن نصر اللّه، جلب لأبرياء الضاحية الموت وسيجلب لهم المزيد منه فليفعل. المهم عدم الإغراق في السجال غير المجدي.. فليفعل السوري ما يشاء، ليريح ضميره، ويطفيء النار في صدره المخرذق بكل أنواع الغل. فما عاشه السوري خلال سنتين ونصف تكفي ناره ليرمّد العالم أجمع. ولكن حقيقة هل سيكون الموت المتفجر لبريء واحد سوى زيادة سعار القلب؟..
شخصياً لن أجادل أحدا بموقفه، ولكني أعزّي أهل كل بريء قتل نتيجة عمل إجرامي في الضاحية الجنوبية، في ميدان رابعة العدوية، في بغداد المكلومة.. أما سوريا، فلا عزاء قبل أن يتم القصاص من كل المجرمين. وخاصة من يقتل السوريين بضحكاته وخطابته وحوارته، وطلاته التفقدية على الخراب.

ماجد كيالي

ونحن نترحم على الضحايا في الضاحية الجنوبية وندعو للجرحى بالشفاء العاجل وندين هذه الجريمة النكراء لاننسى أن ثمة سوريون يتعرضون للقصف الاجرامي الأعمى من البر والجو.. لاننسى أن هؤلاء بشر من لحم ودم بينهم أطفال وشيوخ ونساء أيضا.. في الأثناء مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين يقصف فيما المتبقين فيه يفقتدون للقمة خبز..

سنان أبو غياث

مثل العادة قد لا يجد التيار الثالث تربة أخصب من سوريا، فبعض "أولاد الثورة" ضائعون بين بروباغندا العربية والجزيرة ولا يدرون ما الحقيقة! الحق أبلج واضح كسطوع شمس الظهيرة لا يدّعي عدم رؤيته إلا من أصابه العمى!..

فادي جومر

القيادة القطرية تصدر بياناً تنعو فيه الشاعر كبير سليمان العيسى وتعين فيه علي الديك كمطرب البعث..

إياد نحاس

شوي تانية على قناة العربية: أنصار الإخوان يقصفون قمر عربسات ويهاجمون مقر المحطة بدبي ويغتصبون مذيعاتنا..

مسعود كامل

كل دول العالم لها ممثلين في الائتلاف السوري.. إلا السوريين مالهم ممثل فيه..

ياسين سويحات

البقلاوة نائمة.. لعن اللّه من أيقظها.

إبراهيم نحاس

هلأ إطلاق سراح معتقلي النظام بيكون بعد عفو رئاسي بمناسبة العيد أو شي مناسبة وطنية بس المعتقلين عند داعش شلون رح ينطلق سراحن على طهور ابن البغدادي ولا شو الترتيب؟..

عاصم الباشا

وما زال الحمصي يوصيك: انتبه على نفسك! (وأنت في السويد!).. فكيف تصنع نصباً تذكرياً بحجم جنونه؟ وبطولته؟..

عبد العزيز الدريد

نفسون يلي مبارح ناموا حزينين على رابعة.. اليوم سهرانين على الضاحيه ومبسوطين.. ومعاييرنا بتشتغل عالديزل والديزل مقطوع هالايام..

وليد نظامي

الرحمة على شهداء الإخوان المسلمين. أكثر الأحزاب السياسية فشلاً على مر العصور. و أكثر الناس مناعة ضد التطور، وأكثر ناس بيفهمو بتجارة الدين والأرواح.. لا حول ولا قوة إلا باللّه..

خليل يونس

شفتوا إنو القصة مو علوية وسنية؟ حكم العسكر دائما حقير.

سهر أبو زيد

مرسي لم يستطع تحويل مصر الى تركيا في سنة.. لكن السيسي حولها الى سوريا خلال أسبوع..

سامر لحام

ابني ذو الأربع سنوات سألني: " بابا بابا شو يعني مناكحة"؟.. قلتلو: مو ناقصني غيرك انت لسه يتمنكح علي..

يزن صفدي

ما هي جريدتكم المفضلة في تنظيف الزجاج؟

ميلاد حلب

وأطيعوا اللّه ورسوله وأولي الأمر منكم.. منكم.. منكم.. مو من تونس.

منذر الزعبي

قناة الدنيا: الإخوان يطلقون أجسامهم على الرصاص..

غيث الزعيم

أحبائي المصريين.. هي القصة بتبلش بقمع الإخوان المسلمين وبتمر بحركة تصحيحية وبتنتهي بثورة 15 آذار على ابنو للسيسي.. سألونا التا ولو..

فادي زيدان

لو معك شوية مصاري شو بتعمل فيهون؟. بعزم الخروات اللي قاعدين برا وعم يطبلو لداعش على رحلة عالرقة على حسابي أكلين شاربين مخطوفين ميتين..

جوان زيرو

معقول يكون رئيس سوريا المقبل شيشاني؟..

حازم العظمة

قد يكون مفيداً للباحثين في أصول "البراغماتية" المعاصرة.. أن يبحثوا.. في تاريخ سورية عن القرى التي بدلت طوائفها وأديانها عدة مرات بتأثير أكياس الطحين أو البرغل أو الرز..

باسل الجندي

بدّي باك تلبسيلي برّا البيت متل نسوان الأكثريّة.. وجوّا البيت متل نسوان الأقليّة.. دخيل عينك.. كلو إلا الطائفيّة..!!..

مصطفى العزيز

إعمل في السياسة وكأن جنيف غداً.. واعمل في الثورة وكأن لا جنيف أبداً!..

الثورة الصينية

بشار ومن على منبره.. رح يطالب بحرية الأب باولو إلا شوي.. عطيا شيخي

غدير نوفل

يا أهالي الشام.. يا أهالي الشام.. عنا بالرقة.. شي أصعب من النظام..

«فلسطين مزة أوتستراد»

هذا الميكرو الوفي، ذو اللوحة الحمراء، ميكرو طلاب الجامعة القادمين من المخيم إلى كلية الآداب والطب والصيدلة ونزلة الأكرم، تحول هذا الميكرو بكل لطف ورحابة صدر لكي ينقل نفس الركاب ولكن إلى مكان آخر بعيد عن بيوتهم، بعيداً عن المخيم والبوابة وساحة الأشمر والبطيخة وسوق راما والغواص والمجتهد ودوار كفرسوسة، تحول بعيداً إلى قدسيا.. إلى قدسيا أو مخيم اليرموك الإحتياطي..
أسير في قدسيا وكأني في شارع لوبيا أو موقف أبو حسن أو الريجة، حتى الجامع العمري بقدسيا صاير بيشبه جامع الوسيم ع اليرموك، في بياعين كلاسين ع سوكة ساحة قدسيا متل يلي بشارع صفد ع السوكة، وطبعا صار في سوق خضرا، خيا، متل سوق فلسطين، وطبعا السوق أرخص من كل الشام..
يا أخي غريبين نحن والفلسطينية شو فولة وتنفسمت بالنص.
ملاحظة: تنقص قدسيا لكي تصبح مخيم اليرموك طبق الأصل طبقة إجتماعية وتركيبة سكانية مهمة وهم «الشلاتية»، لأنهم مشغولين بمكان آخر والحدء يفهم.. سلام..

أحمد قصار

بالمشرمحي الفصيح.. من سَمّانستان:
واستباقاً..
لأيّة هجمة فيسبوكية على تصريحي
و تضامناً مع.. علي فرزاتستان:
كلّنا في الشرق.. هَمَجستان.

نجم السمان

بالتأكيد هو إنسان طائفي وعديم الإنسانية من يتحدث عن توزيع «البقلاوة» بمناسبة سقوط أطفال ومدنيو الضاحية الجنوبية في التفجير مساء اليوم..
ولكن في الحقيقة.. لقد كان مشهد توزيع نفس المدنيين للبقلاوة في نفس الضاحية عند سقوط القصير يفوق ألف مرة حقد الطائفية وكراهية السوريين بعمومهم..
وإن أردنا انتقاد طائفيتنا اليوم لدواع إنسانية بحتة، فعلينا بكل تأكيد تقدير المشاعر الإنسانية الجريحة التي تستعر في نفس كل سوري منذ سنتين ونصف..
نعم لقد نجح النظام في قتلنا.. ونجح أكثر في اغتيال اللّه في نفوسنا.. وأصبحت الرأفة ترفاً لا يطيق أحداً احتماله..
لشهداء سوريا والضاحية الجنوبية الرحمة..
ولنا مثلها أيضاً!

منير الريس

درب الصـــغار

بالأمـس مررنـا بحقـل كبيرة عذبـة يعكس ضـوء القمـر بأزهاره البيضـاء المزروعـة في كل مكان فيه. ولما سألنا عمّـن أوجده قيل لنا بأن صغارنا هم تلك الأزهار وقد تشـبثوا بأيدي بعضهم وتآلفوا وصدقوا فيما بينهم. ومن شـدة ذهولنا لما رأينـا ومما سمعنا، تعاهدنا وقد كان المسافر ممـن تعاهدوا أيضاً بأن نسير علـى درب صغارنا علنا نصبح في الغد بحراً يعكس نور الشمس فتمسي بنا الأرض بيضاء.

سوريا / ريف حلب / 2012
نصوص وتصوير: باسل حسو
دقق النصوص: ميمونة العمار

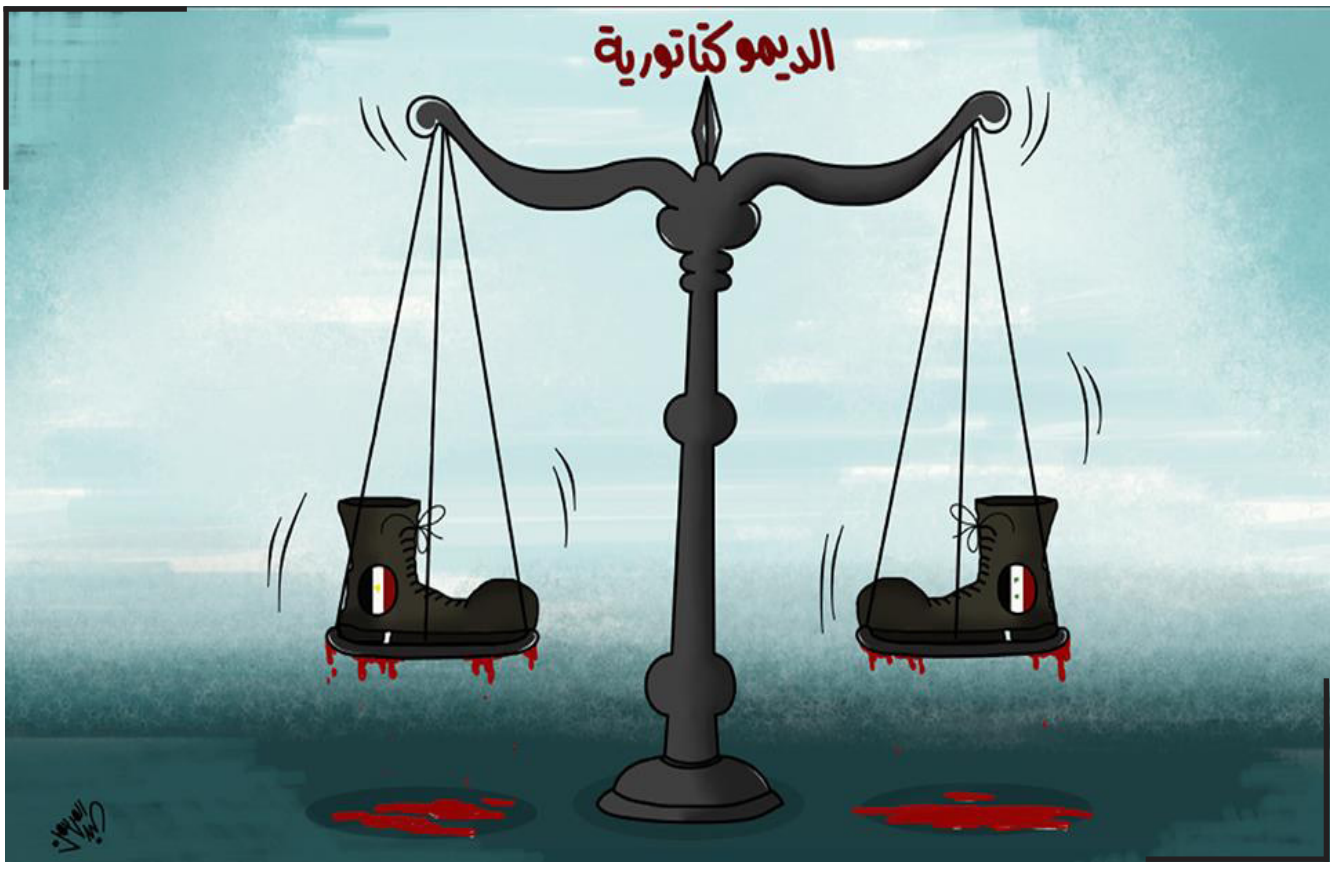

كاريكاتير العدد | الفنان عبد المهيمن بدوي

أوقفوا إرهاب الأطفال في سوريا | عمل للفنان وسيم الجزائري

لا نعرف من قصته إلا امتداد الجسد المبتور

■ نبراس شحيّد

اسمه عليّ. عمره عشر سنين أو أكثر. لا نعرف من قصته إلا أنين جسده المبتور يسرده في فيديو قديم. "لا أرى بعيني"، يقول الصبي، "فقدت يديَّ"، يضيف، ليعقب بعدها على نحو مثير: "لست حزينا، يداي سبقتاني إلى الجنة، لا أحد مثلي!". يبتسم الفتى فيضيء وجهه بهياً متعالياً على حزنه العميق. يبتهج مصوّر الفيديو بكلمات عليّ الذي فتّتت وحشية النظام جسده العام الماضي، فيدفعه إلى قول المزيد ليجعل من قصة الصبي درساً دينياً في الصبر والإيمان. "لم أسمع، هل تستطيع أن تعيد مرة ثانية؟!"، يقول الرجل ليحضّ الصبي على تكرار حمده لله على مصابه. يعيد عليّ ما يريد منه الرجل أن يعيد، لكن دمعته الأخيرة تفضحه حين تنسل متسامية على رتابة الإجابات الجاهزة.

في مشهدٍ تراجيدي، يمدّ الصبي يده المقطوعة نحو وجهه ليمسح دمعته. ينسى الجسد لبرهة أن لا يد له ليجفف عينيه حين يتكشّف الحزن جامحاً عصياً! في لحظة الحقيقة هذه، تنهار الإجابات المعدّة مسبقاً، فيتجلى جسد الفتى ذاكرةً لا تقبل نسيان أعضائها المبتورة. أنه حاضر الجسد المشوّه حين يحلم بماضيه، فيتمرد على كلمات مسبقة الصنع يكررها صبيٌ جميلٌ عن السعادة. لا، ليس الفتى بسعيد، وليست حكايته درساً دينياً. حمد عليّ لربّه على مصابه، محض تكرار لثقافة شعبية تربّينا عليها. تثور الدمعة على هذه الثقافة لتقول ما لا تجرؤ الكلمات الواعية على قوله: إذا كان "الله" - كما تدّعون - هو من أراد لجسدي أن يُبتَر على هذا النحو الوحشي، فأنا، الجسد، لا أريد ما يريده "الله" لي! لذا أمدّ يدي المقطوعة، متحدياً "قدري"، لأمسح دمعتي وكأن يدي لا تزال كما كانت، كاملة!

تتمرد دمعة الصبي على السكينة التي يحاول الفيديو أن يسجنه فيها. لذا، يمتد حاضر الجسد في ماضيه، فيعيش عليّ جسده متخيلاً: جسدٌ كامل كما في الماضي، بيدين وعينين. يثور الجسد على واقعه، ومعه تثور كلمات الفتى حين تخفي بين أحرف رضوخها تمرداً فريداً. قيل لعليّ أن مصير أمثاله ممّن سفك النظام السوري دماءهم هو "الجنة". جميل قولنا هذا، ويا مرحباً بـ"الجنة"، يتهلل عليّ، شرط أن تحتضن جسده كاملاً: "يداي سبقتاني إلى هناك!" لا يحدّثنا عليّ عن روح ستنعتق من أوجاع الجسد، بل عن يديه اللتين لن يتخلى عنهما أبداً! بكلمات أخرى، لا يقايض عليّ جسده بـ"الجنة" بل يريد أن يربح الاثنين معاً. لذا، لا يتنازل الفتى عن أيّ جزء من كيانه، بل يفهم "الجنة" كحال من اكتمال تحوّلات الجسد: جسدٌ كامل يستعيد يديه المبتورتين. قد لا يشارك بعضنا عليّ إيمانه بحياةٍ تعقب الموت، لكننا لا نستطيع إلا أن نشاركه شغف جسده الثائر على الواقع و"القدر". جسدي متألمٌ نازف، يقول عليّ، لكنني أكبر من نزيفي. لذا يمتد جسدي في ذاكرته، ولذا تمتد كلماتي نحو "جنة" يكتمل فيها الجسد! جسدي الآن هنا، يقول عليّ، لكنه أيضاً "هناك". هكذا، يتسامى الفتى على الثنائيات المبسّطة التي تفصل "الروحي" عن "الجسدي"، فيقدّم ذاته جسداً متخيلاً تتوحّد فيه الأرض بالسماء.

لجسد عليّ إذا ثلاثة أعداء. عدوّه الأول ثقافةٌ قَدَريّة لا تعرف من الرحمة شيئاً، بل تحكم على طفل صغير بأن يعيش متألماً ليربح "الجنة"، ولذا وجب عليه "الحَمد"! عدوّه الثاني روحانية مثالية قائمة على إنكار الجسد أو اختزاله في كتلةٍ من لحم تتجمع فيها أعضاء متفرقة. لذا، لا يبالي عليّ بـ"جنة" لا تحتضنه كاملاً بيديه المبتورتين وعينه المفقودة. عدوّه الثالث ماديةٌ محضة تنحسر في حدود الحاضر فتجهل ما في الخيال من حقيقة. لذا، يمدّ الفتى يده المقطوعة ليمسح عينيه فيستعيد ماضيه الضائع. لذا أيضاً يستمر الفتى في بحثه عن جسدٍ متخيَّل يكتمل موحِّداً الأرض بالسماء. جسد عليّ إذا، ليس بضاعة دينية نتاجر بها؛ جسد عليّ ليس كتلة لحم خاضعة لروح تتعالى عليها؛ جسد عليّ ليس محض قوانين فيزيائية؛ جسد عليّ حال من امتداد الرغبة حين تتحدى قسوة الواقع المفرطة؛ جسد عليّ هو هويته كما يتخيلها ويعيشها. لذا لن يدخل "الجنة" إلا به.

يمتد جسد عليّ في تخيلاته إذا ليستعيد أعضاءه الضائعة. جسد القاشوش امتدّ في أغنية ليستعيد حنجرته المبتورة. أجساد شهداء المطاحن امتدّت في الرغيف. أجساد أصحابنا الذين رحلوا، امتدت في حكايات ما زلنا نسردها ليعيشوا. جسد فداء البعلي امتدّ في الصور التي كان يلتقطها ليتوحد مع قضيته فيصير استمراراً لها. هكذا، ينقلب الجسد هوية ترسم علاقتنا مع العالم: أغنية، صورة، حكاية، ثورة لا تقبل بمحدودية واقعها. "لذلك ربما تبرّع عبد الله للتمدد في قبر صديقه، متذرعاً بالتأكد من اتساعه لجسده الشهيد. "سألوني بيسعو القبر؟ تمددت بالقبر وتحركت، وقلت منيح بيسعو. وبكيت.. جهاد شهابي خيي حقك على راسي غلطت.. السماء ما بتسعك حتى يسعك القبر!" (رزان زيتونة، "ريف دمشق: اللحظات التي تسبق موتنا جميعاً").

نشرت أيضاً في النهار 17 / 8 / 2013

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (69789)

دمشق: 5272
ريف دمشق: 15729
حمص: 10749
درعا: 6114
إدلب: 8045
حلب: 11244
دير الزور: 4402
الرقة: 850
السويداء: 48
حماة: 4928
اللاذقية: 848
طرطوس: 307
الحسكة: 496
القنيطرة: 344

5211 عدد الأطفال الذكور
2352 عدد الأطفال الإناث
4809 عدد الإناث
17086 عدد العسكريين
52703 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 18 / 8 / 2013
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر